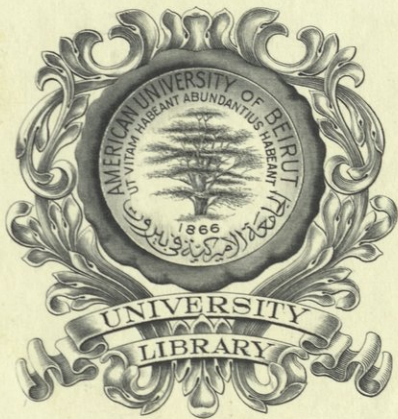


AMERICAN  
UNIVERSITY OF  
BEIRUT





A. U. B. LIBRARY

تجليد صالح الدر  
٢٢٩٧٧

UNIVERSITY OF TORONTO





4  
56.9  
119  
2





167 CA  
956.9  
N6tH  
v.2  
c.1

# ذائق سيرة وليلة المصوم

## الجزء الثاني

### تأليف

عسرة فروخ ب.ع.

زكي النقاش ب.ع.

مدرس الأدب العربي في كلية القاصد الانسانية  
في بيروت

مدرس الشايخ في كلية القاصد الانسانية  
في بيروت

### ايضا انبستي

ترى على غلاف هذا الكتاب :

ازهار بلودك الجميلة وثمارها السرية

وستطالع فيه تاريخ بلودك المجدد

عليك اذن ان تحبها لانه خلقها جميلة

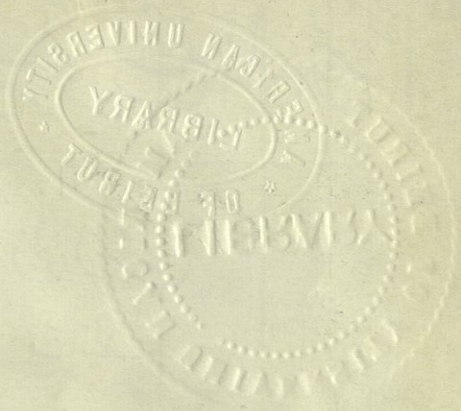
والتاريخ جعلها عظيمة .

48690

Gift

Oct. May 1936

مطبعة الكشاف بيروت



جميع الحقوق محفوظة للوالمين



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

لقد صح ما توقعناه للجزء الاول من الاقبال ؛ وسرنا ان التلاميذ انفسهم كانوا يشعرون بلذة وهم يدرسونه ، فلم يبق التاريخ اذن فرعاً جافاً مملاً . وها نحن اولاً . نقدم الجزء الثاني للتلاميذ الذين يبدأون سنتهم الرابعة بعد اجتيازهم حديقة الاطفال او مدارس الحضانه .

واجملنا في هذا الجزء تاريخ سورية منذ اقدم العصور باسلوب يصور البيئة السورية تصويراً يبقى واضحاً في ذهن الطالب لانه يقوم على تفهم الحوادث عن اقرب طريق الى عقلية التلميذ الذي لم يتجاوز بعد الثالثة عشرة من عمره .

اما التاريخ القديم فقد عُنينا به في هذا الجزء . عناية خاصة وخصصناه بمجال اوسع من المجال الذي عاجناه به في

الجزء الاول . ويلاحظ الاستاذ الكريم ان هنالك حقائق تاريخية عامة اهملناها في هذا الجزء . وكنا قد ذكرناها في الجزء الاول ، وما ذلك الا لاننا احببنا ان نطلع التلميذ على اشياء جديدة وصور للحياة الاجتماعية ، غير اننا حفظنا سلسلة التاريخ السياسي غير مبتورة .

ويلاحظ الاستاذ الكريم ايضاً ان عنايتنا بالصور لم تنقص قط وان كان يؤسفنا ان الحصول على صور لادوار تاريخ سورية بنسب متساوية يكاد يكون — لكتاب مدرسي — ككتابنا — مستحيلاً .

وقد وصلتنا من بعض الاساتذة ملاحظات قيمة استغرنا بها في إعداد هذا الجزء . وسنجعلها اساساً عند إعادة طبع الجزء الاول ، وإعداد الجزء الثالث الذي سيتناول الادوار السياسية التي مرت بها سورية ؛ وسيعالج علاقاتها باوربية وعلاقة اوربية بها في مختلف العصور ، والذي سيكون لصف الشهادة الابتدائية . وفقنا الله الى خدمة النشر والامة والوطن .



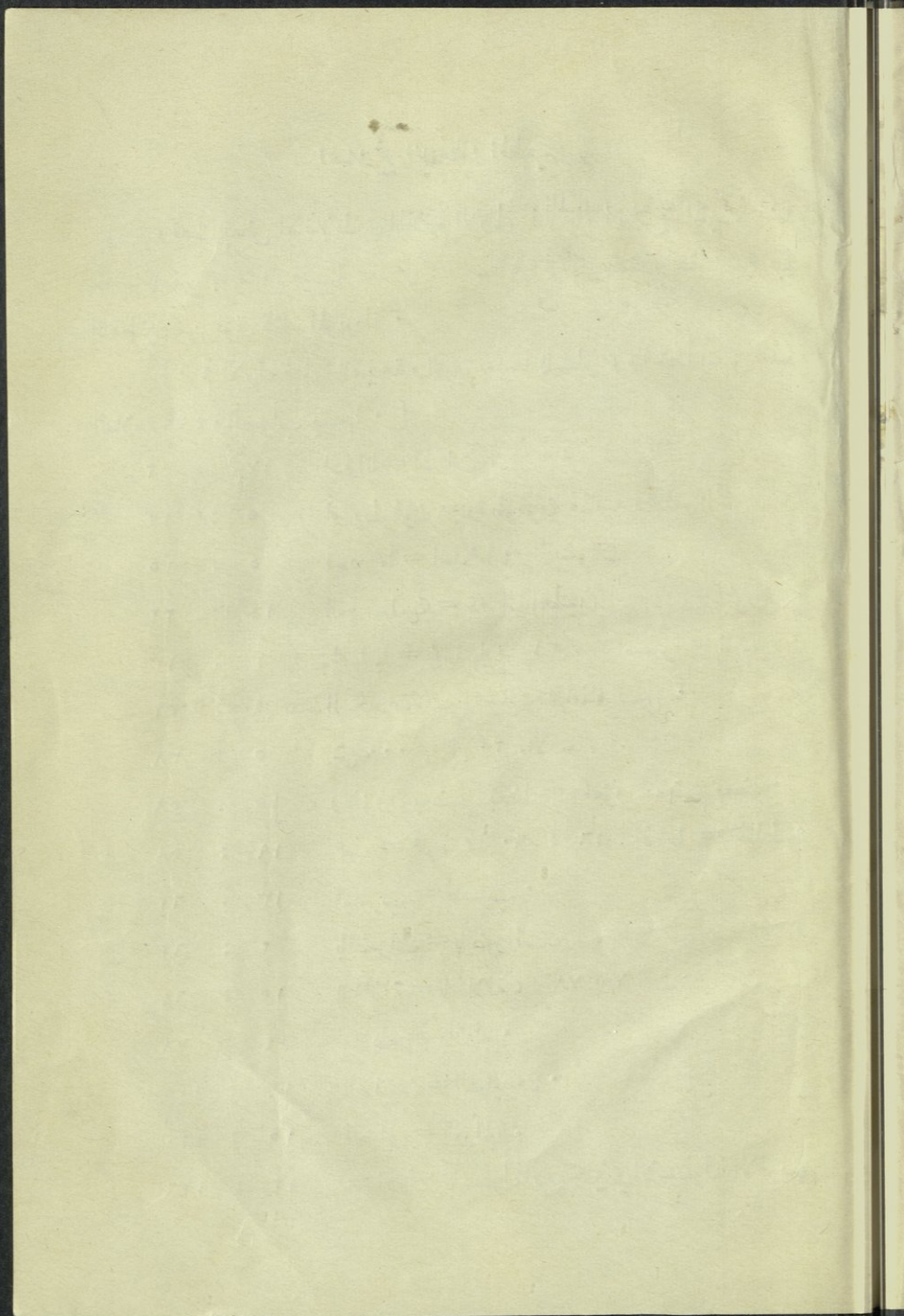
## فهرست الجزء الثاني

- القسم الاول : سورية في العصور القديمة . ٥٦ - ١
- الانسان الاول - استقرار الساميين في الهلال المخصب ١ - ١
- الاموريون - الفينيقيون وآثارهم المعارية - جيران سورية في مصر وآسية الصغرى . ١٧ - ١
- الآراميون - الكنعانيون - الهبرانيون - جيران سورية في العراق . ٣٤ - ١٨
- اليونان والسلوقيون - الرومان والمسيحية - سامع سورية والامبرطورية السورية - الروم في سورية - الغساسة . ٥٦ - ٣٥
- القسم الثاني : سورية في العصور الوسطى . ١٠٦ - ٥٧
- العرب والدعوة الاسلامية - العرب في سورية . ٦٢ - ٥٧
- بنو امية في الشام - عصر سورية الذهبي - الدعوة الهاشمية . ٧٣ - ٦٣
- الخلافة العباسية في بغداد - ضعفها وتوالي الحكومات على سورية . ٨١ - ٧٤

- ٨٢ - ٩٩ الحروب الصليبية - ( الافرنج في سورية ) - حياة  
 الصليبيين في سورية - يقظة المسلمين وانهمزام الافرنج  
 - حياة السوريين في الحروب الصليبية .
- ١٠٠ - ١٠٦ المالك يطردون الصليبيين - سورية في عهد  
 المالك البرجية .
- ١٠٧ - ١٤٧ القسم الثالث : سورية في العصور الحديثة .
- ١٠٧ - ١١٨ الفتح العثماني - سورية مقاطعة عثمانية (عصر البشوات)  
 - اصحاب النفوذ في عصر البشوات .
- ١١٩ - ١٢٣ عصر الاسراء والحكام الوطنيين - حملة نابليون -  
 حملة ابراهيم باشا - فتنة ١٨٦٠ .
- ١٣٤ - ١٤٧ النهضة العلمية العمرانية - اليقظة العربية - الحرب  
 الكبرى - سورية تحت الانتداب .







## اصلاح الالفاظ المطبعية

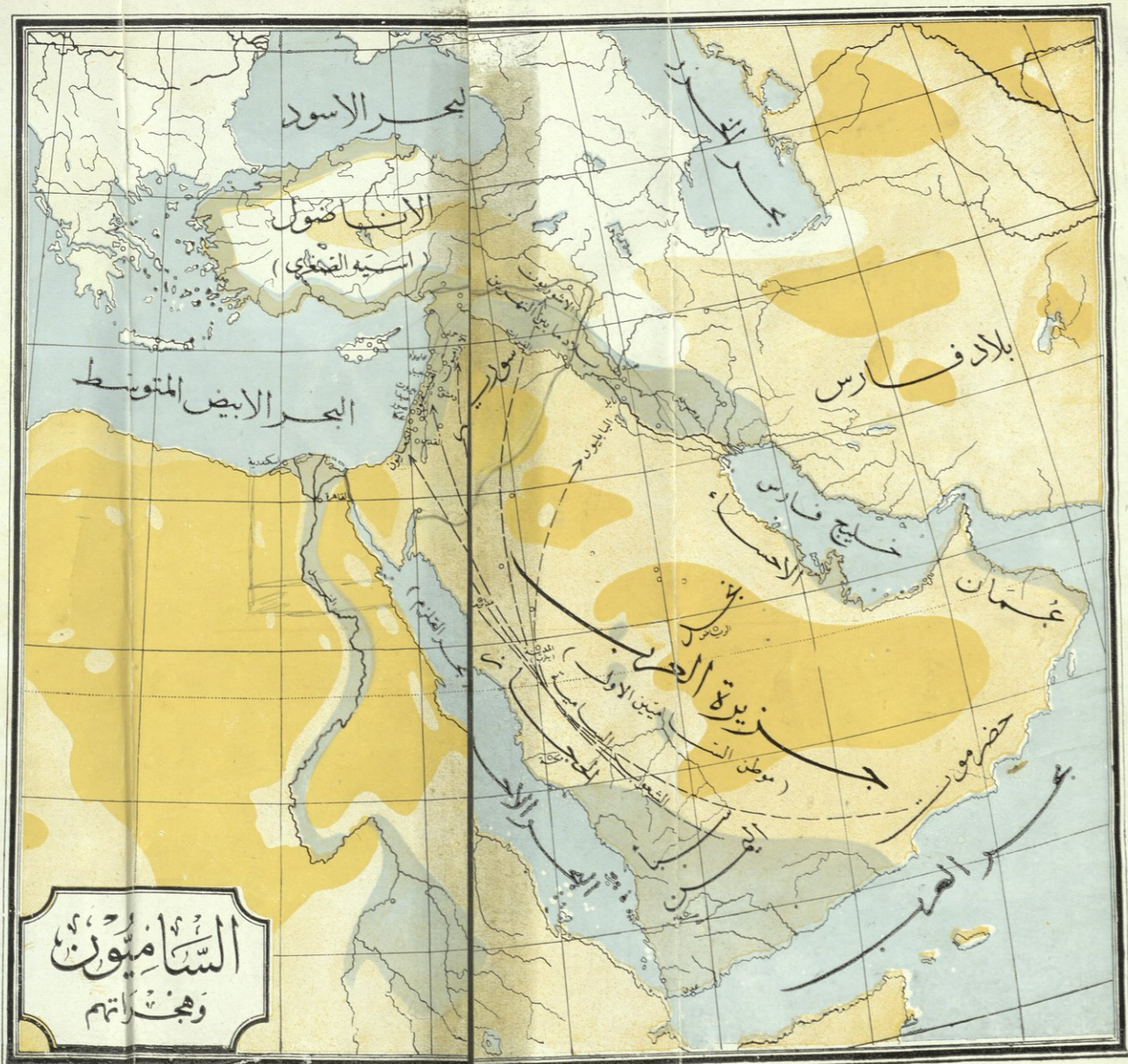
وقعت بعض الالغلاط في الملازم الاولى فالرجاء اصلاح المثبت منها  
حفظاً للمعنى ؛ اما البرقية فقد تركنا اصلاحها لانها مستدركة كذهاب  
النقطتين من فوق التاء المربوطة .

[ الرق الاول قبل : للصفحة والذي بعدها للسطر ؛ والخطأ يسبق هذه

العلامة = ، والصراب يتبعها ٠ ]

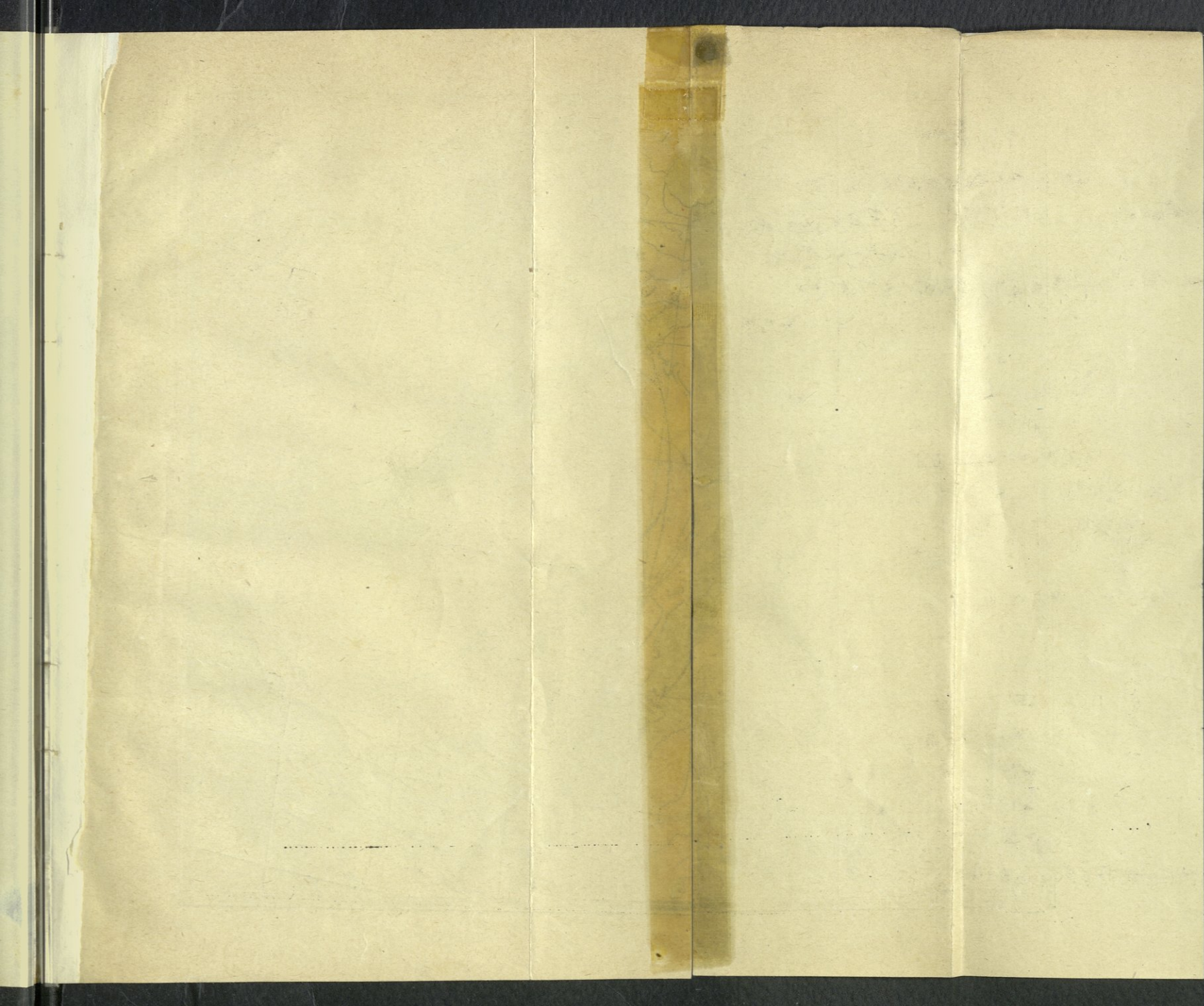
ادوات = ادوات	١٧ :	٢
او يطوفون = ويطوفون	٥ :	١٢
احدهما = احدهما	٥ :	١٥
الغير سامية = غير السامية	١١ :	٢٢
يحملها = يحملنها ، ٣١ : ٣ اسسرا = اسسرا	٣ :	٢٣
الكلدان السبي = الكلدان والسبي	٩ :	٣٢
ش ٠٠٠ = ش ٢٠	٥ :	٣٨
ويفزون بعضهم بعضا = ويفزرو بعضهم بعضا	١٥ :	٥٨
عمره = عمره ، ٦٠ : ١٦ تخلط = تخلط	١٩ :	٥٨
فيصيب = فنصيب	١٣ :	٦١
بالضراب = بالضرائب	٢ :	٦٢
للخلافة = بالخلافة ، ٧٨ : ٧٠ دت = أدت	١٥ :	٦٤
بلاطه = بلاطه	١٤ :	٧٨
الصليبين = الصليبيين	١٤ :	١٠١
الغزالي = الغزالي	١٥ :	١١٠
= ادرك لاسطول الانكليزي الاسطول الافرنسي	١٢ :	١٢٣





السَّامِيُّونَ  
وَهَبْرَاةَم







## القسم الاول

سورية في العصور القديمة ٤٠٠٠ ق.م - ٦١٠ م

### ١ - الانسان القديم

سورية قبل التاريخ - قد تتوهم ان سورية كانت دائماً كما هي اليوم : فيها المدن العامرة ، والمزارع الزاهرة ؛ تحترقها الخطوط الحديدية ، والطرق المعبدة التي تقسابق عليها السيارات ، وهي تنقل الناس الى اعمالهم وازهارهم . والحقيقة غير ذلك ؛ فان الكتابات القديمة التي عثر عليها المنقبون في مصر وبابل ، تخبرنا ان بلادنا كانت ، قبل ستة آلاف سنة ، خالية من كل آثار العمران التي نشاهدها اليوم .

لقد كانت الغابات الكثيفة تكسو جبال سورية ، وتملاً اوديتها ، وتغطي سهولها حتى تتصل بالبحر . وفي تلك الغابات ،

التي كثرت فيها الوحوش الكبيرة وحالت كثافتها دون نفوذ



نور الشمس اليها ، كان يعيش سكان  
سورية الاولون في همجيتهم الاولى :

لا بيوت يأون اليها ، ولا أثواب  
يرتدونها . لقد كانت حالتهم أشبه بحال

الحيوان : يعلو اجسامهم العارية شعر

( شكل ١ ) الانسان

كثيف ؛ وكانت تهاجمهم الوحوش الاول كما تصوره احد العلماء .

الضارية ، وتقسو عليهم الطبيعة فلا يستطيعون اتقاء حرها  
ولا بردها .

وظل السوري الاول على هذه الحال من التعاسة والجهل

حتى هداه عقله الى التقاط المرأوة ( عصا ضخمة ) ، والهجوم

بها على الحيوانات الصغيرة . فكانت المرأوة أول سلاح توصل

به اجدادنا الاولون الى حماية انفسهم .

العصر الحجري — في حياة الانسان دور سماه المؤرخون :

« العصر الحجري » او العصر السابق للتاريخ لان البشر ظلوا

فيه يجهلون الكتابة وكانوا يتخذون فيه من الحجر ادواتاً



لأعمالهم اليومية . وقد عثر المنقبون في بلادنا عند شواطئ  
الأنهار وفي بطون الأودية على أدوات حجرية كان السوربون  
الأولون يستعملونها كما نستعمل نحن اليوم السكين أو الفأس .

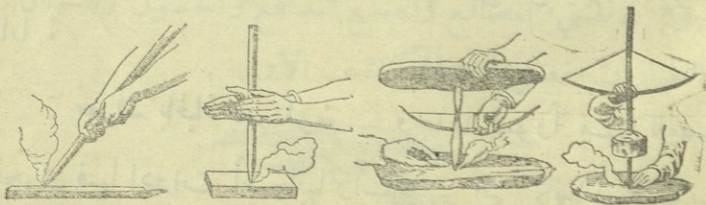


ثم تفتنوا في صنع  
الظُران ؛ وبدأ  
لبعضهم ان يشدها  
الى اغصان مقطوعة  
من الاشجار فيجعل  
منها رمحاً او فأساً

( شكل ٢ ) : أدوات مختلفة من الظُران

لقطع الاغصان او صيد الحيوان .

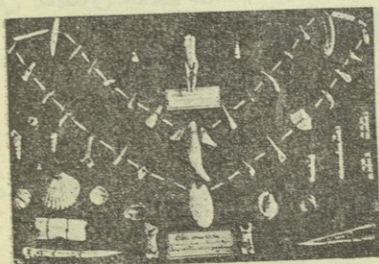
إيقاد النار — يظهر ان الانسان الاول شاهد صاعقة  
تسقط في الغابة فتحرق قسماً منها . ثم اتفق له ان وجد ، بعد



( شكل ٣ ) طرق مختلفة لإيقاد النار

ذلك ، حيواناً محترقاً وذاقه ، فاستطاب اللحم مشويماً ؛ فجعل  
يحاول ايقاد النار بنفسه حتى اهتدى الى ايقادها بحك قطعتين  
من الخشب كما ترى في ش (٣) .

اللغة والفن — لاشك في ان الانسان كان في اول أمره  
اعجم ، — لا يستطيع الكلام — ؛ ثم اهتدى الى تقليد  
اصوات الحيوان والانهار والصواعق للتفاهم . على ان همجية



(شكل ٦) عقد من عظام وصدف

الانسان الاول لم تمنعه من  
الاحساس بالفن . لقد صنع  
ادواته الحجرية على اشكال  
مختلفة ؛ واتخذ من عظام  
الحيوان ومن الصدف

عقوداً يلبسها هو او تلبسه امرأته ، ثم عمل من جلود الحيوان  
ثياباً .

معرفة بالحياة بعد الموت — وجدنا قبوراً من العصر  
الحجري فيها ادوات أصحابها وأسلحتهم التي كانوا يستعملونها  
في حياتهم مما جعلنا نعتقد انهم فكروا في الحاجة اليها بعد



موتهم فطلبوا أن تدفن معهم . واعتقد الانسان الاول بوجود  
آله تجب له العبادة .

انقضاء العصر الحجري - طال العصر الحجري كثيراً . ثم  
اتفق أن مصرياً كان يطوف في صحراء سيناء منذ نحو ٤٠٠٠  
سنة ؛ فلما نزل الليل اشعل ناراً ثم تركها مشتعلة ونام . فلما  
أصبح رأى نور الشمس ينعكس عن أجزاء صلبة بين الرماد .  
وقد ايقن - من رؤيتها مرات متعددة بين الرماد - انها  
تحدث من احتراق نوع من الحجارة . وهكذا اكتشف  
الانسان الاول النحاس - المعدن الاول الذي عرفه العالم - .

استعمل الانسان النحاس في اول الامر للزينة ؛ ثم بدا  
له أن يتخذ منه آلاته وأدواته . وهكذا خرج الانسان من  
العصر الحجري الى العصر المعدني ؛ وهكذا أصبح بإمكاننا  
اليوم أن ننشيء المصانع ونصنع المدافع والجيور والسيارات  
والطائرات بفضل ذلك المكتشف الاول .



## ٢ - استقرار الساميين في الهلال الخصيب

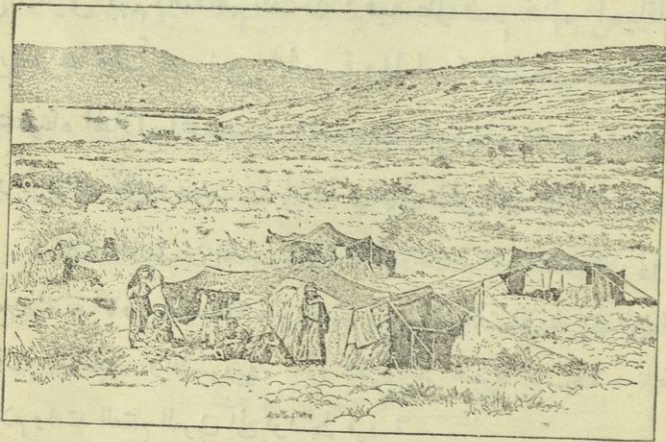
مهد الساميين - ان سكان سورية ولبنان ، وفلسطين والعراق ، وبلاد العرب ومصر كلهم ينتمون الى أصل واحد : هو الجنس السامي ؛ ويتكلمون اليوم لغة واحدة : هي اللغة العربية . ولجميع هؤلاء السكان عادات واحدة ، وتفكير واحد ، وتقاليد واحدة ورثوها عن اسلافهم الاولين ؛ او اكتسبوها من جيرانهم ، ومن الذين نزلوا في بلادهم من التجار والفاحين .

نشأة الساميين - هذا الشعب العظيم ، الذي نسميه الشعب السامي ، نشأ في قلب شبه جزيرة العرب ؛ التي يحيط بها الماء من ثلاث جهات : الخليج الفارسي من الشرق ، وبحر العرب من الجنوب ، والبحر الاحمر من الغرب ، اما من الشمال فتنتهي عند العراق شرقا وسورية غربا . ومن هذا الشعب السامي انحدرنا نحن وجميع الذين يسكنون اليوم شواطئ البحر المتوسط ، الشرقية والجنوبية .

الساميون بدورهم - ليس في قلب بلاد العرب انهار دائمة ، ولا خزانات للمياه ؛ ولذلك ليس فيها زراعة كما نعرفها في سهل البقاع وحوارن ومرج ابن عامر ، او في العراق ، وليس باستطاعة سكانها استخراج ما فيها من معادن كالحديد والفحم والنفط لتنشأ الصناعات .



غير ان المراعي الموقمة هنالك ، والمياه القليلة لا تمكن الاهالي من تربية المواشي فيرحلون بها من مرعى الى آخر ، فاذا رعتهم كله انتقلوا بها الى غيره . وهكذا يفعلون على مدار السنة وكرّ السنين . من اجل ذلك كان اكثر الساميين قبل هجرتهم قديماً وحديثاً بدواً رحّلاً اي يعيشون في البادية وينتقلون من مكان الى مكان بمواشيهم واهلهم ومساكنهم .



( شكل ٥ ) جماعة من الساميين اثناء هجرتهم الى مراعي الهلال الخصيب

سُجاعة البدو وفروسيتهم - يعيش البدو بعيدين عن العمران - المدن - معرضين لهجوم الوحوش منطارين الى غزو جيرانهم ، او صد هجرتهم . ولهذا تراهم منذ صغرهم يتعلمون الفروسية - ركوب الخيل - واستعمال السلاح لحياة اهلهم ومواشيهم .

الهلال الخصيب - على الحارطة منطقة خضراء اللون تمتد

من شمالي الخليج الفارسي إلى أعالي العراق ؛ ثم تنحدر ممتدة على الشاطئ ، الشرقي من البحر الأبيض المتوسط . هذه المنطقة تدعى الهلال المخصب لأنها تشبه الهلال ، ولأنها خصبة جداً .

الهجرات السامية — كان سكان شبه جزيرة العرب يتكاثرون حتى تضيق بهم بلادهم القاحلة ، فيضطر قسم منهم أحياناً إلى أن يهجروها طلباً للمراعي الخصبة والمياه ؛ فيذهب شمالاً إلى ما دعونه الهلال المخصب . وتعددت الهجرات حتى امتلأت سورية والعراق ومصر والحبشة وشمال أفريقيا بالساميين .

وكانت المدة بين الهجرة والهجرة نحو ألف سنة . بدأت الأولى قبل المسيح بثلاثة آلاف وجمائة عام ؛ بينما تزلت الموجات الأولى في العراق ، وعرفت بالبابليين والآشوريين . وكانت آخر هجرة كبيرة حينما ظهر الإسلام وامتد الفتح العربي إلى أواسط فرنسا .

لما نزل الساميون سورية وجدوا فيها سكان العصر الحجري — غير الساميين — ولكن سرعان ما تغلبوا عليهم ، وسادوهم . ثم كانت فتوح كثيرة ، وأمم تغلبت على بلادنا في جميع ادوار التاريخ ؛ ومع ذلك فإن الميزات الأساسية ظلت سامية ، واللغة العامة ظلت إحدى اللغات السامية ، كما هي



## العربية اليوم .

الاسرة السامية - اللاب في الاسرة السامية سلطة واسعة  
يخضع لها جميع الافراد ؛ وللجد سلطة اوسع . وكلما زاد عدد  
افراد الاسرة زاد نفوذ رئيسها حتى تصبح عشيرة ، فيمسي  
ذلك الرئيس حاكماً مطاعاً . وحياتنا البيتية اليوم تشبه حياة  
اسلافنا الساميين .

وشيخ القبيلة او رئيسها اكبر افرادها سنأ . الا ان  
القبيلة قد تنتخب احياناً من هو اعظم افرادها عقلاً او شجاعة  
او ثروة . لهذا تجد شيخ القبيلة في بعض الاحيان شاباً لم يبلغ  
الاربعين من عمره .

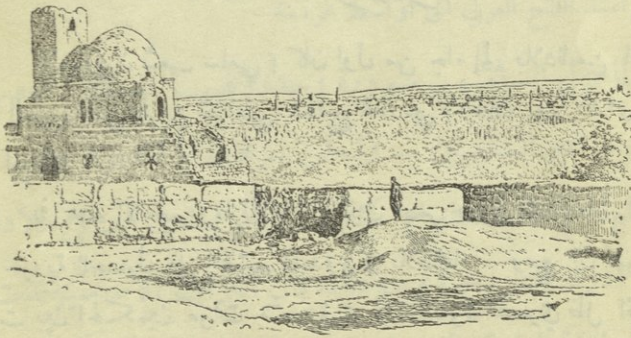
## ٣ - الاموريون

الاموريون شعب سامي ؛ كان اول من جا . إلى بلادنا من اواسط  
بلاد العرب ، عن طريق شواطئ الخليج الفارسي ؛ وذلك بين ٢٨٠٠ و ٢٥٠٠  
قبل الميلاد .

في هذه الاعصر وما تلاها ، كانت مصر وبابل تتنازعان السيادة  
على سورية للحصول على الخشب المهدوم في بلادها . ومع ان سورية  
تقلبت بين الحكامين مرات ممتدة ، فان النفوذ المصري ظل اثبت في  
جنوبها ، والنفوذ البابلي اقوى في شمالها .

ويظهر لنا هذا النفوذ الغريب ، في طريقة معيشة  
الرؤساء ؛ فالذين كانوا في جنوب سورية يتبعون الزي المصري ؛  
بينما الذين كانوا في شمال سورية يتبعون في حياتهم الزي البابلي .  
اما عامة الشعب فكانوا لا يزالون في اول درجات  
الرقى : كانوا قد تركوا السكنى في الكهوف والمغاور ليجمعوها  
مقابر لامواتهم ، او صهاريج لجمع المياه ؛ وقد بدأوا يبنون  
لسكناتهم البيوت الخفيفة من لبن (طين غير مشوى) او  
أجر (طين مشوى) .

في هذه الاثناء جعل الاموريون يقتربون من سهول  
بردى ، حيث ابنتوا مدينتهم أموري (دمشق) - وهي  
اقدم مدينة لاتزال عامرة الى يومنا هذا .



(شكل ٦) دمشق القائمة على انقاض اموري



## ٤ - الفينيقيون وآثارهم المعمارية

لا شك في انك تذكر من العام الماضي أن الفينيقيين شعب سامي، نزل على الساحل الممتد بين حيفا واللاذقية؛ وانهم كانوا تجاراً وملاحين . فكثروا على الشواطئ ، واسسوا المدن الساحلية التي جعلوا منها حكومات مستقلة . ولقد حدثتلك عن صور وصباغ الأرجوان فيها ، وعن صيدا . وصناعة الزجاج فيها . ثم علمت ان الفينيقيين احتاجوا ان يقيدوا بضائعهم وديونهم فأستنبطوا الأحرف الهجائية ، وأشروها بين الشعوب القديمة . والآن سنحدثك عن ديانة الفينيقيين ، وابنائهم ؛ وعن بعض عاداتهم الاجتماعية .

الربهم عند الفينيقيين - الساميون كلهم في الأصل مؤحدون - اي يعبدون الها واحداً - ؛ وعلى هذا كان الفينيقيون في طورهم الاول . ثم جعلوا يمثلون صفات الله الواحد بتماثيل تدل عليها ، فخرجوا بذلك عن اساس التوحيد . وكثرت اصنامهم وآلهتهم وجعلوا يعبدون منها الآلهة بعلى والالاهة عشرتوت وهما كبر الآلهة ثم يضيفون اليهما ادونيس وإله أشمون وغيرهم .

وطريقة عبادة الفينيقيين ، وخصوصاً في المواسم

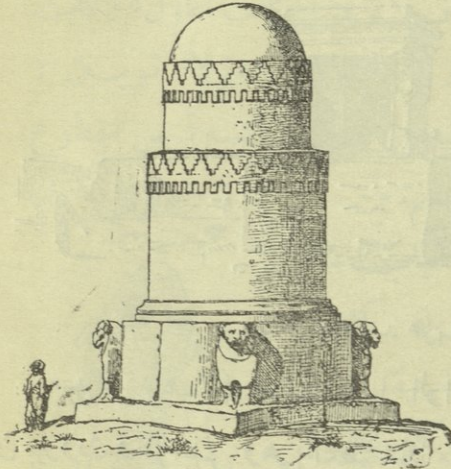
والاعیاد : ان یقتلعوا شجرة كبيرة من جذورها ؛ ثم یأتون  
بها الى داخل الهيكل ، ویعلقون علیها الضحايا : من غنم ومعزی  
وطيور وثياب حريرية ، او كؤوس ثمينة . بعدئذ یخرجون آله  
ذلك الهيكل ؛ ویبناهم في الخارج تحرق الشجرة بما علیها . ثم  
یدخلون بالصنم وهم ینشدون او یطوفون حول الشجرة حتى  
تخمد النار .

طراز البناء — كان البناء الفینیقی ، في اول عهده ، بسيطاً  
جداً ؛ ولكنه في غاية الدقة والضخامة . كان يتألف عادة من  
حجارة كبيرة الحجم جداً مرصوفة من غير ملاط ( طین البناء )  
وصفاً محكماً لا یدع مكاناً لمرور ابرة بين حجرین .

بعد زمن عمد الفینیقیون ، في تریین مدخل بنائهم ، الى  
اقامة الاعمدة القليلة على هيئة النخيل — لكثرة هذا الشجر  
في بلادهم — حتى لیخيل ایضاً ان هذه الزخرفة الجميلة خاصة  
بالفینیقیين . وهذا یصدق دائماً على الهياكل او بيوت العبادة ،  
وعلى القصور . اما بيوت العامة فلم یكن یعتنی بها ، وليس  
بوسعنا أن نبین طراز البيوت لانها درست .



معبده عمرت - بني سكان ارواد على الشاطيء المواجه  
لجزيرتهم مدينة سموها عمريت ولا تزال فيها آثارهم حتى



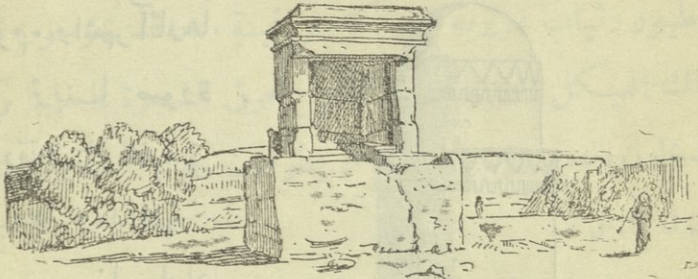
( شكل ٧ ) مدفن فينيقي

اليوم . واشهر آثارها  
التي تريننا صورة  
صادقة للبناء الفينيقي  
معبدها ومدافنها .  
حينما اراد  
الارواديون بناء هذا  
المعبد نحتوا صخراً  
كبيراً وجعلوا منه  
سطحاً عظيماً طوله نحو

خمسين متراً ، وعرضه ثمانية واربعون . وكانوا قد تركوا في  
وسط هذا المسطح قطعة مكعبة ارتفاعها ثلاثة امتار ؛ وطولها  
خمسة امتار ونصف ، وعرضها مثل ذلك .

اما المعبد نفسه فبناء مكعب له جدران ثلاثة كل  
جدار منها حجر واحد ، ارتفاعه نحو اربعة امتار ونصف .  
وقد جعل السقف ايضاً حجراً واحداً مشرفاً فوق الجهة

الرابعة المفتوحة على نحو ماترى في الصورة . وحبذا ان تلاحظ شكل المدفن لتعلم ناحية ثانية من البناء الفينيقي .



( شكل ٨ ) معبد عمرت

جيبيل — وهناك مدينة جيبيل الواقعة على الطريق الممتد بين بيروت وطرابلس وهي اعظم شأناً من جميع المدن الفينيقية في الدين . كانت بحج السوريين يأتون اليها للاحتفال باعياد آلهتها ولا سيما ادونيس آله الخصب الذي يصورونه على هيئة الشمس . وجيبيل اليوم مقصد السياح لكثرة ما عثر عليه المنقبون من آثارها كلها العظيمة وفيها الدقيق .

ثيابهم وعاداتهم — تأثر الفينيقيون بسكان ما بين النهرين وخصوصاً فيما يتعلق بالشعر . فكان الرجال يجدلون لحاهم ، ويلبسون العقود والخواتم مثلهم . اما ثيابهم ، وخصوصاً في



الطبقات الدنيا، فكانت تتألف من قيعس يصل الى اعلى الركبة فقط، منسوج من كتان او قطن، وخال من الزينة والزر كشة . لكن ثياب الاشراف والاغنياء كانت اطول، وكانت مزر كشة كثيرة الشنايا . وكثيراً ما يلبس هؤلاء ثوبين : احدهما عباءة تصل الى القدمين ، وتانيهما شبه قيعس مقطوع الاكام يصل الى نصف الجسم .



(شكل ٩) شريف فينيقي

ومما يلفت النظر الى ثياب النساء خاصة انها كانت طويلة كثيرة الزر كشة . واشتركت الفينيقيات مع الرجال في الحياة العامة : فكن يحضرن الاجتماعات والاحتفالات والمآدب .

ربما جلسن

واياهم على

مقاعد واحدة

وعملن معهم

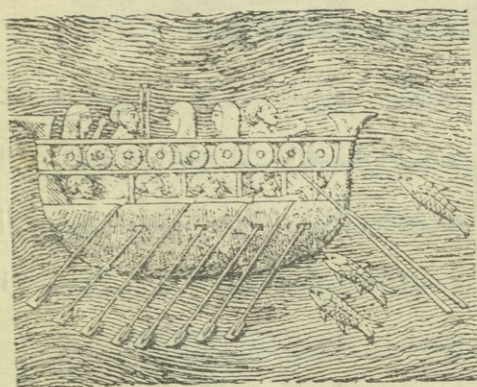
في مصنع



(شكل ١٠) نساء فينيقيات واحدة .

## ٥ - جيران سورية

يحيط بسورية ثلاثة اقطار كان لها في تاريخ بلادنا القديم والحديث اثر ظاهر : مصر وآسيه الصغرى والعراق .  
ويحمل بك الان أن تعلم أن التجار السوريين كانوا منذ عام



( شكل ١١ ) سفينة تجارية

٢٠٠٠ ق.م. يحملون  
البضائع بين الحجاز  
واليمن والعراق  
وسورية وبين مصر .  
كانوا يحملون الطيب  
والاواني الزجاجية  
والادوات الحديدية  
وخبب الارز الى

وادي النيل ؛ فتوثقت الصلات بين مصر وبلادنا حتى شاعت  
اللغة المصرية في بعض انحاءها . وكثيراً ما كان جنوبي سورية  
ملجأً للفارين من غضب فرعون او ظلم ولاته .

واغرت هذه الثروة والصناعة والخصب المصريين



ببلادنا ، فسلبوها حريرتها وحكموها في القرنين الخامس عشر والرابع عشر يرهقون اهلها بالضرائب الفادحة . وقد اصطنعوا بعض السوريين ، واستخدموهم في جباية الضرائب من ابناء بلادهم ؛ لانهم أعلم بذلك من الاجنبي .

وبينما كان المصريون يحكمون سورية ، هبطها الحثيون من الشمال ؛ وهم امة حربية صنعت اسلحتها من الحديد بعد ان استخرجته من مناجم اسية الصغرى . وقد ظل النزاع بين المصريين والحثين في سورية سجالاتا حتى جاء شعب سامي جديد ، وجد فيه الحثيون مساعداً على المصريين ؛ واقتسموا معه النفوذ في شمالي سورية بعد ان تركوا المصريين في القسم الجنوبي . هذا الشعب الجديد هو الشعب الآرامي الذي سندرسه في

### الفصل الثاني .



( شكل ١٢ )

(١) رأس حثي انظر  
ما اقرب الشبه بينه  
وبين ارمني اليوم (٢)

## ٦ - الأراميون في الداخل ١٢٠٠ ق.م

إذا اردنا ان نتتبع الأراميين من مسكنهم الاصيلي الى موطنهم الجديد  
وجب علينا ان نفعل كما فعلنا عند تتبع آثار اخوانهم : الاموريين  
والفينيقيين . انهم جاءوا من اواسط شبه جزيرة العرب يسوقون انعامهم  
ومواشيهم الى العراق ؛ ثم انحدروا غربا الى صحراء سورية ، واستقروا في  
لبنان الشرقي وحول دمشق الى قرب حماه .

ممالكهم وترتيب مدنهاهم — نحن الآن ننحدر مع القرن  
الرابع عشر قبل الميلاد بسرعة ؛ ولكننا لا نرى السوريين قد  
تعلموا توحيد الممالك سياسياً . انهم لا يزالون ينشئون ممالك  
مستقلة تتألف عادة من مدينة كبيرة ، ومما جولهها من القرى  
والبساتين . وهذا ما فعله الأراميون حينما نزلوا في بلادنا . لقد  
انشأوا ممالك كثيرة « نحو عام ١٢٠٠ ق.م » منها مملكة حماه  
ومنها مملكة سامال في الشمال .

وصف مدينة سامال — نزيد الآن ان نزرع عاصمة  
مملكة سامال . نحن نقرب من الشمال رويداً رويداً وعند  
منتصف المسافة بين البحر المتوسط والفرات يبدو لنا تل  
صغير مرتفع عما حوله قليلاً . ثم يبدو لآعيننا سور عظيم



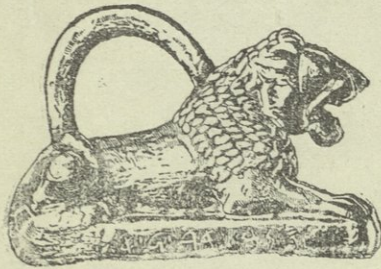
مستدير، قاعدته من الحجر وسائرُه من اللَّبن. وفي اعلاه بروج  
يقف فيها الجنود أيام الحروب ليردوا الاعداء عن المدينة.



باب  
( شكل ١٣ ) مدينة سامال « برستد »

ندخل من احد ابواب هذا السور الثلاثة ، فيعترضنا  
سور آخر مثله فنخرقه فاذا نحن امام بيوت كلها مبنية من  
اللبن . وتستطيع تمييز بيوت الاشراف من بيوت العامة ؛ فهي  
اما مبنية على مستوى ارفع ، او هي اقرب الى سور القلعة  
نسير الآن في السوق ونحب ان نتكلم مع بعض

الاهلين فنتقدم من احدهم ، ونقول له باللغة الارامية « صباح الخير » . ثم نبدأ الحديث فنعلم ان الاهلين اكثرهم من التجار الذين يترددون بالبضائع الى البلدان المختلفة بين شواطئ البحر الابيض وبين الهند . ثم يرى اننا نتفرس كثيراً في قطعة من



( شكل ١٤ ) عيار آرامي « برسد »

الشبه « النحاس الاصفر »  
على هيئة الاسد ، فيخبرنا  
انها وزن يستعمله تجار  
المدينة .

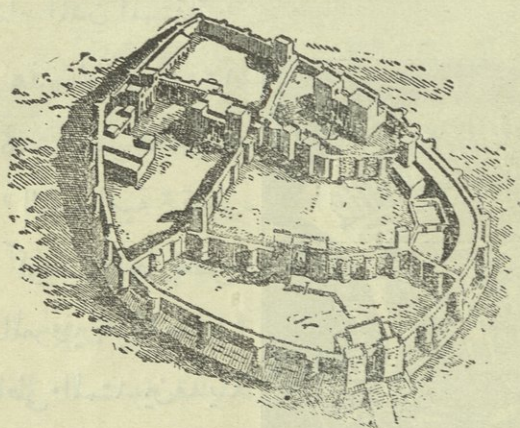
ونستزيده فيقول نحن

اليوم نقبض على ناصية

التجارة في العالم « ويقصد بذلك ، العالم المعروف في ايامه »  
واننا قد خدمنا المدنية خدمة جلية . فنحن الذين حملنا الاحرف  
الهجائية بعد ان استنبطها الفينيقيون ، ونشرناها في الشرق كله .  
وقد بلغ من اثرنا في الحياة الاجتماعية في جميع هذه البلاد ان  
الاهالي يتكلمون لغتنا الآرامية اكثر مما يتكلمون لغتهم ،  
فانها اللغة اليومية في جميع بلاد الهلال الخصب . وهي لغة  
رسمية في الحكومات ايضاً .



بعدئذ يذهب بنا هذا التاجر الوجيه ليرينا قصر الامير  
والهيكل . فنتقدم من قلب المدينة حتى نصل الى سور شبه  
مستديرش (١٥) ؛ مقطعٌ داخله بجُدُر كثيرة ، تقوم القلعة في  
وسطها . ونجد حول القلعة قصور ملك المدينة والهيكل . هنا  
يسير التاجر الى الاعمدة ويقول لنا : « ان هذه الهندسة  
مأخوذة عن الهندسة المصرية ؛ اما الاروقة [ الممرات حول  
البناء ] فهندسة حثية » .



( شكل ١٥ ) قلعة ملك سامال وقصوره « ايضاً »

## ٧ - الكنعانيون في الجنوب ٢٥٠٠ ق.م

قد تعجب من تأخير بحث الكنعانيين عن بحث الفينيقيين مع انهم  
جاءوا معاً . وسبب ذلك ان اهمية الفينيقيين ظهرت قبل اهمية الكنعانيين .  
نزل الفينيقيون على السواحل الشمالية من سورية  
ونزل اخوانهم الكنعانيون في الجنوب . وكان استعداد  
الفينيقيين وخصب بلادهم وازدهار تجارتهم ميزة لهم من  
اخوانهم فتقدموهم بمراحل . وهكذا اخذ الكنعانيون  
بعد زمن طويل يقلدون الفينيقيين في بناء المدن والاسوار ،  
وفي انشاء المدن المستقلة .



(شكل ١٦) جندي فلسطيني

في هذه الاثناء ١٢٠٠  
ق.م كانت بعض الشعوب  
الآرية «الغير سامية» تهجر  
جزيرة كريت فلجأ بعض  
هؤلاء «المعروفين «بالفلسطينيين»  
الى الشاطئ الممتدين مدينة  
العريش ويافا . ومنذ ذلك  
الحين اصبح اسم جنوبي



## صورية فلسطين .

واشتد النزاع بين الفلسطينيين النازحين وبين الكنعانيين  
المتوطنين واستمرت الحرب بينهم بدون نتيجة حاسمة .  
يسرنا الآن ان نسير في اسواق فلسطين ؛ فاذا فعلنا  
علمنا حالا ان البلاد غير خصبة : لاتستطيع ان تقدم لاهلها  
كل ما يحتاجون اليه ، وان المطر فيها قليل والمياه على نسبة  
ذلك . نعلم هذا من رؤية النساء رائحات غاديات لملء جرارهن  
التي يحملها على رؤوسهن .



( شكل ١٧ ) قافلة من الكنعانيين

ثم نصل الى الساحات والاسواق فنرى تجاراً مختلفي  
الازياء لانهم من بلدان مختلفة جداً . فهذه حلى شبيهة او عاجية  
جاء بها صاحبها من مصر ؛ وتلك ادوات خزف او فخار حملها  
التاجر الحثي او الايجي من اسيا الصغرى ، او بلاد البلقان .  
وهناك رجل قرب باب الهيكل ، ينشر امامه منسوجات

صوفية مزر كشة اتي بها من بلاد بابل .  
لائشي غير يسير حتى نسمع جلبه وضوضاء يتخللها  
نهيق مزعج فنعلم ان تجساراً جاءوا بهمير من ضفاف الفرات  
والنيل لبيعها هنا . وقد ترى بين الفينة والفينة تاجر آي كتب  
قوائم بضاعته بالكتابة المسماة التي تعلمها في اثناء رحلاته  
العديدة الى ما بين النهرين .

\*\*\*

## ٨ — العبرانيون

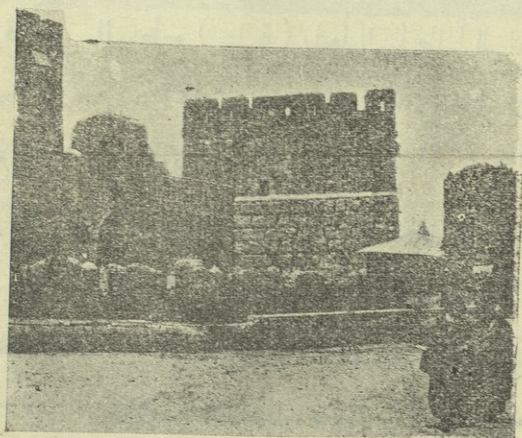
جاء العبرانيون مما بين النهرين بعد الكنعانيين ؛ ثم هاجر قسم منهم  
الى مصر طالباً للخصب فتلقهم ولادة فرعون واستخدموهم في تشييد الابنية  
العظيمة كلها كل الأهرام وغيرها ، وساموهم سوء العذاب . ثم بعث  
الله فيهم موسى عليه السلام نبياً فانقذهم . فرجعوا الى فلسطين ، وهم  
لا يزالون رُحلاً يعيشون في الخيام ويرتدون الجلود .

محمد بنهم — وقضى العبرانيون مائة وخمسين عاما  
يجارون الكنعانيين والفلسطينيين فلم يتغلبوا عليهم بل  
امتزجوا بهم بالتزاوج والسكنى واقتباس العادات . تعلم  
العبرانيون من الكنعانيين سكنى المدن ، والبناء بالحجارة ؛



وتعلموا رفع الاسوار . ثم ارادوا زعيما يجمع اشتاتهم فصيح لهم  
ذلك في رجل اسمه شاول ، تلقب بالملك ، وحارب بهم  
الفلسطينيين . ولكنه انهزم هزيمة فاضحة ؛ فودع الحياة  
منتحراً ( عام ١٠٠٠ ق م ) .

وظل العبرانيون مشتتين حتى ملك عليهم داوود من  
قبيلة يهوذا النازلة في الجنوب وهزم اعداءهم . عندئذ تمكن  
من اخذ قلعة كنعانية كانت على جبل الزيتون ؛ و اراد ان  
يبني فيها هيكلًا يجمعه قبلة العبرانيين . ولكنه توفي ( عام ٩٣٣  
ق م ) قبل ان تتحقق امنيته . واشتهر داوود بشجاعته



( شكل ١٨ ) قلعة مدينة داود «القدس»

وبصوته الجميل .

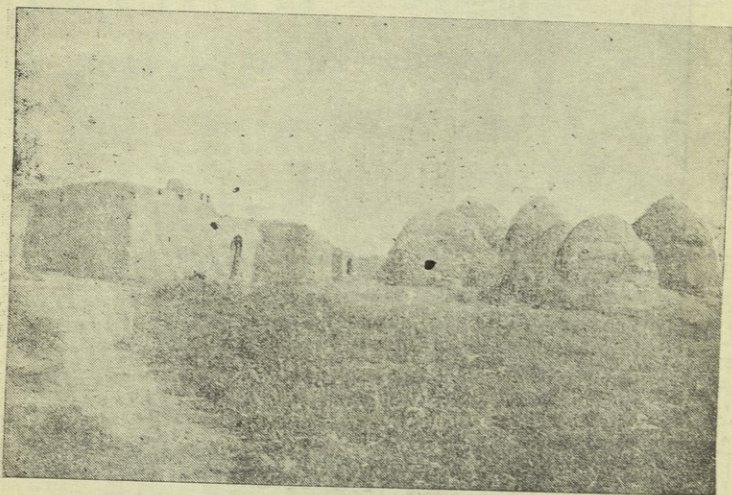
البيت العبراني — كان البيت العبراني بسيطاً جداً . هو دار ذات طبقة واحدة سقفها مرتفع ، وارضها لا حواجز فيها . ينام افراد الاسرة في جانب من هذه الدار ، وترب المواشي في جانب آخر منها ش (١٩) . و اراد العبرانيون ان تقيمهم بيوتهم هم وبهائمهم من تقاب الجو وحر الشمس خاصة ، فلم يجعلوا البيت كثير النوافذ ، ولا الباب مرتفعاً . وكانوا يقولون : علو الباب يقود الى الخراب .

اما اتجاه الباب فكان دائماً الى الشمال كيلا يكون معرضاً للشمس ؛ وعلى هذا اكثر بيوتنا الى الآن . وقد يبني الغني غرفة على السطح ( عليّة ) يلجأ اليها طلباً للراحة او هرباً من الضجة . ومن علامات الغني ان يكون للبيت صهريج ( بئر لجمع ماء المطر ) .

وكان للسطح فوائد اخرى : ينشرون عليه الغسيل ، ويجففون الغلال ، او يصعدون اليه للزهة والتفرج ، اذا حدث في البلد حادثة مهمة . اما طريقهم فكانت ضيقة جداً ، وقذرة جداً تسرح فيها الكلاب لالتقاط فضلات الطعام من اقدار

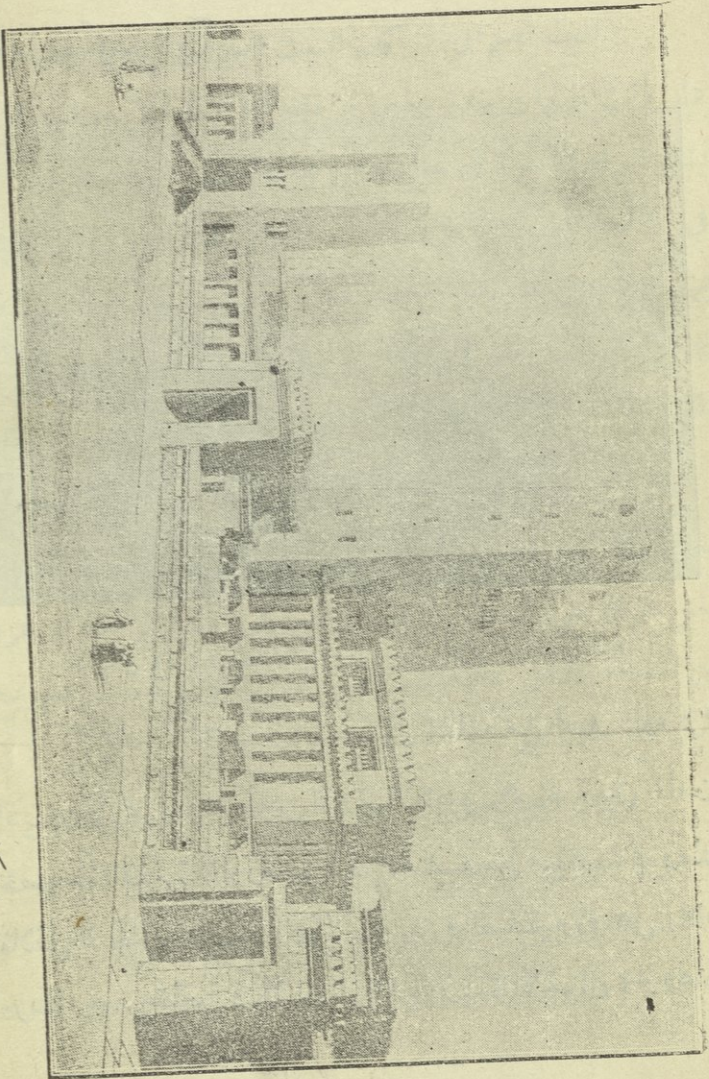


المنازل الملقاة قرب الجدران او في وسط الطريق . وهي تعوي  
عوا ، مزعجاً يصم الآذان .



( نكحل ١٩ ) قرية فلسطينية وما اشبهها بالقرى العبرانية القديمة

سليم ابن الحنكيم — ورث سليمان الملك من ابيه داوود ،  
وكان ملكاً عمرانياً حسن الذوق ، فجعل همه تزيين المدن  
وخصوصاً القدس ( اورشليم ) عاصمة ابيه من قبل . ثم وطد  
العلائق التجارية مع جيرانه الآراميين والفينيقيين واهل بلاد  
العرب ومصر خاصة فكثرت الرفاهية بزيادة الاموال وازدهار



( شکل ۲۰ ) مبدع سلیمان ادرسه جدیداً ولاحظه ما فیه من اتقان ودقه وجمال



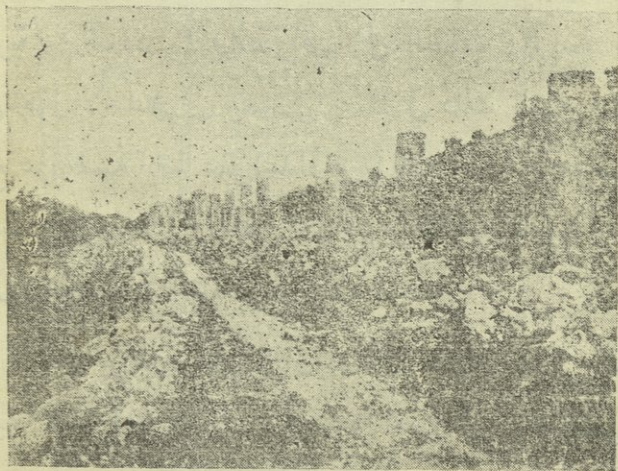
التجارة . بعدئذ حقق امنية ابيه فاتم بناء الهيكل وتريينه  
مستعيناً بالمهندسين ومهرة الصناع من الفينيقيين ، فشيدوه  
بجشب الارز وزينوه بزجاج صيداء ، وافرغوا فيه كل مجهود  
حتى اتى اعجوبة في البنيان القديم يدل على ما وصل اليه  
الذوق الفينيقي في البناء والزخرفة ش (٢٠) .

وقلدت العامة سليمان فتعددت غرف بيوتهم : هذه  
للنوم وتلك للاستقبال وهذه للمائدة . وتعود العبرانيون  
الاكل معاً — كما نفعل نحن — يعتقدون انه يزيد اعضاء  
الاسرة الفة والاكل بركة .

يوم السبت — ومن عادات المبرانيين تعطيل الاعمال  
الدنيوية يوم السبت ، وانصرافهم الى العبادة والراحة . ولم  
يكن يجوز لاحدهم ان يعمل عملا في ذلك اليوم ولا ان  
يدافع عن نفسه . ولما علم اعداؤهم بذلك جعلوا يهاجمونهم في  
ايام السبت ويستولون على اموالهم وبلادهم بسهولة . وقد  
تغير رأي بعضهم في السبت في ايامنا هذه .

اسرائيل وبروندا — ان نفقات سليمان على تشييد  
الابنية ، وعلى اهل بلاطه ورفاهيته ، ادت الى زيادة الضرائب

ثم نبتت البغضاء بين سكان الجنوب الذين يعبدون الله  
(ويسمونه يَهُوَه) ، وبين سكان الشمال المتأثرين بعبادة  
الفينيقيين الوثنية وعاداتهم . فما كاد ساميان يُتوفى حتى تقسمت  
البلاد قسمين : مملكة اسر ائيل في الشمال وعاصمتها السامرة  
(قرب نابلس) ، ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها اورشليم .  
الebraيون و anto مبر — كان العبرانيون اول من رجع  
عن عبادة الاصنام ، ونشر في العالم فكرة التوحيد . وقد ظهر  
فيهم انبياء كثيرون .



(شكل ٣١) خرائب مدينة السامرة



## ٩ - جيران سورية في العراق

مر معنا ان سكان سورية جاءوا من بلاد العرب عن طريق العراق ؛ ولكن هذا لا يعني ان جميع الذين خرجوا من بلاد العرب اتوا الى سورية . لقد بقي بعضهم في العراق واسسروا هناك ممالك عظيمة ، منذ زمن قديم جداً ، ثم استعمروا ما حولهم .

أر بابل الادبي - خضعت سورية في اول امرها لبابل خضوعاً اكتفى منه البابليون بالاسم وباخذ الجزية والضرائب خشباً ، وتركوها لسورية استقلالها الداخلي . بيد ان كثرة الاحتكاك ، وتردد التجار ووحدة الجنس السامية مكنت العادات البابلية في سوريا وخصوصاً في الدين والازياء وفي اثاث البيوت .

واشتد اثر بابل في شمالي سورية لقرب البلادين ؛ اما فلسطين فكانت دائماً اشد تأثراً بالمدنية المصرية للسبب نفسه .  
الرهول الاسوري - نشأ في شمالي بابل على دجلة مملكة اشور وهذه ما لبثت ان تناهت عليها . ولم تطل سنة ٧٠٠ ق . م حتى استولت اشور على جميع اراضي الهلال المخصب ، ومنها سورية ؛ واستولت على مصر . وقد دروا عن الجيش الاشوري فظائع كثيرة ، واخبرنا كيف كانوا يفتحون البلاد

بالسيف ، ويرمون اهلها في النار ، ثم يبتزون اموالهم باسواط عملهم القساة .  
ولكن من الظلم ان زوي ذلك عن الاشوريين وحدهم .



( شكل ٢٢ ) الهول الاشوري ، جيش اشور يقتحم قلعة في شمالي سورية ٨٥٠ ق م .

انته السورين — لم ترض سورية عن حكم الاشوريين ؛  
ولكن الجيش الاشوري تمكن ، بعد حروب طويلة ، من  
اخضاع اموري ( دمشق ) الباسلة وصور العنيدة ؛ ثم انقض  
سرجون الثاني ملك اشور على السامرة — عاصمة مملكة  
اسرائيل — فهدمها وشردها . ش ( ٢١ ) ثم لم تلبث ان زالت  
امبرطورية اشور ولم تترك في سورية الا ذكرى النار والحديد .  
الكلدان السبي الباطل — لم تكذب تنفس سورية الصعداء  
بعد زوال الهول الاشوري حتى امتلأت بالكلدان بين سكان  
بابل الذين ورثوا اشور في العراق ، وادوا ان يخلقوها في



امبرطوريتهها . انقض نبوخذ نصر على سورية وهدم مملكة  
يهوذا ودمر عاصمتها اورشليم ( ٥٨٦ ق . م ) ، ثم نفى اليهود الى  
عاصمته بابل — وعاصمة البابليين من قبل — واستعبدهم  
هنالك . وهكذا زالت المملكة العبرانية عن وجه الارض .

الفرس يخالفون السوريين — الى الشرق من العراق مقاطعة  
تدعى فارس ، يسكنها شعب ذي سامي شجعه ضعف الدولة الكلدانية على  
غزو العراق وسورية ومصر . فلما سقطت بابل في يد كورش الزعيم  
الفارسي « ٥٣٨ ق . م » اطلق اليهود الذين سبي نبوخذ نصر اسلافهم ،  
وارجعهم الى فلسطين استرضاء لهم ، وليكونوا له عوناً في حروبه مع مصر  
واليونان .

رجع قسم من اليهود الى سورية بعادات جديدة  
يتكلمون اللغة الآرامية ويكتبونها بعد ان نسوا اكثر لغتهم .  
اما القسم الآخر فابي الرجوع ، لاستيطانه ما بين النهرين ، بعد  
ان بنى البيوت وامس المتاجر .

وجاء بعد كورش دارا الاول فنظم الامبرطورية ،  
وفضل مسالمة السوريين واحترام استقلالهم على النزاع معهم  
لانه رأى كيف اقصوا مضجع الاشوريين والكلدانيين ؛

ولانه ادرك اهمية الاسطول الفينيقي في حروبه المقبلة .



( شكل ٢٣ ) دارا الاول

وقد استفادت سورية من حكم الفرس تعبيد الطرق ، وازدهار التجارة ، وانتشار مراكز البريد ، واستتباب الامن . ثم امر دارا ان يعاد حفر ترعة السويس حسب تخطيط الفينيقيين ( بفتح ترعة تصل بين شمالي البحر الاحمر وبين البحر الابيض عن طريق النيل ) .

وهكذا فتحت امام الفينيقيين اسواق جديدة ، فزاد ازدهار التجارة و كثرت اسباب الرفاهية .





# ١٠- اليونان - السلوقيون ٣٢٣-٦٤ ق.م

الاسكندر المقدوني ودارا الثالث — ظلت بلادنا في جميع ادوار تاريخها القديم ميداناً للقتال ، لا تجف ارضها من دماء المصريين حتى تبتل بدماء الفرس . وها هي ( ٣٣٤ ق.م ) يهاجمها الاسكندر المقدوني الكبير الذي نعرفه بلقبه « ذي القرنين » .



( شكل ٢٤ ) الاسكندر المقدوني

بعد ان تغلب هذا الفتى المقدوني على بلاد اليونان ، واستبد بملكهم ادار وجهه شطر الشرق ليقم في آسية امبراطورية له : تلك كانت اول غزوة اوروبية ففي آسية . التقى الاسكندر بالفرس في آسية الصغرى فهزمهم ، ثم هاجمهم على مقربة من

السوس « قرب الاسكندرونه عام ٣٣٣ ق.م » .

هنا وقف الفاتح العظيم بين فكرتين : استمراره في مطاردة جيش دارا، وترك السوريين خطراً عليه في البر والبحر، او مهاجمة بلادهم اولاً ثم يردد الى حرب دارا، فتغلبت عليه الفكرة الثانية . لم تكن سورية لقمة سائغة له، فقد وقفت صور العنيدة في وجهه سبعة أشهر بفضل اسطولها الذي كان يمونها بالميرة والذخائر . ولما ضاقت بالاسكندر الحيلل بني بين الساحل



( شكل ٢٥ ) مدينة صور

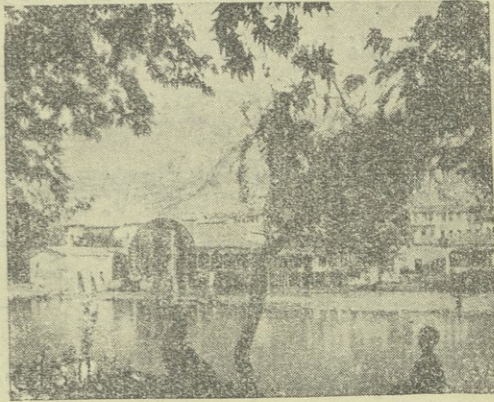
وبين الجزيرة سداً ممكنه من الوصول اليها واخضاعها . وفي هذه الاثناء كان قد وجه جيشاً آخر الى دمشق وفتحها ، فتم له بذلك سلبه السوريين حريتهم .



المملكة السورية — بعد عشر سنين توفي الاسكندر  
وخلّف امبراطورية عظيمة يتنازعها قواده ، فكان القسم  
الاسيوي ومنه سورية نصيب القائد سلوقس نيكاتور مؤسس  
المملكة السورية (٣٠١ ق.م)؛ وفي هذا العهد عرف السوريون  
كيف يكونون امة واحدة . اراد السلوقيون صبغ البلاد  
بالصبغة اليونانية ؛ فبنوا المدن واطلقوا عليها أسماء يونانية نحو:  
اسكندرونه ، انطاكية ، اللاذقية ، سلوقية . واستبدلوا بعض  
اسماء المدن الكبرى باسما يونانية ايضاً فاصبحت بعلبك تدعى  
هليوبولس (مدينة الشمس) وصور تيروس . ثم شجعوا  
رعاياهم الاوروبيين على الاحتفاظ بجنسيتهم ، وعلى السكنى  
في مدن خاصة كل ما فيها من بناء ، وعادات ، ولغة ، يوناني  
وامتد هذا التأثير الى المدن الوطنية .

غير ان اليونانيين بحكم اختلاطهم بالسوريين اكتسبوا  
بعض عاداتهم ؛ حتى ان بعض الحكام السلوقيين تلقبوا بالقاب  
آرامية ، وتربوا بالازياء الشرقية ، وملاوا بيوتهم بالمصنوعات  
السورية . ومع ان اللغة اليونانية كانت لغة العلماء والمتعلمين  
فان اللغة الآرامية ظلت لغة التخاطب .

وبالغ السلوقيون في فرض عاداتهم على السوريين فنفر  
السوريون منهم ، و كثرت ثوراتهم التي كان منها فتنة اليهود .  
باغت السلوقيون اورشليم في يوم سبت واعملوا السيف في اهلها  
والمول في اسوارها . لكن اليهود عادوا اليها بعد مدة  
وجددوا بناء الهيكل فيها . ( ش ٠٠ )  
لو اتيح لك ان تزور مدينة انطاكيه لادهشك



(شكل ٣٦) منظر انطاكيه على العاصي

بناؤها ، ونظافة اسواقها ، ولا سيما مكتبتها التي كانت تضم  
ما يقارب ثلاثمائة الف مجلد ، وكانت تنافس بعلمائها الكبر  
مكاتب ذلك الزمن : ككتبة الاسكندرية في مصر .



ولم تكن المدن السورة تغبط انطاكيه على سعتها ،  
و ثروتها و علمها فقط ، بل حسدتها أيضاً على متنزها في دفنة  
( الحريات اليوم ) الذي كان السكان — ولا يزالون —  
يقصدونه للتمتع بمياهه المتدفقة و بمناظره الطبيعية الخلابة ؛  
فيقضون الذ ساعات حياتهم في اللهو و الاحتفال باعيادهم  
الوطنية و الدينية ، و في المباريات الرياضية على مختلف انواعها .

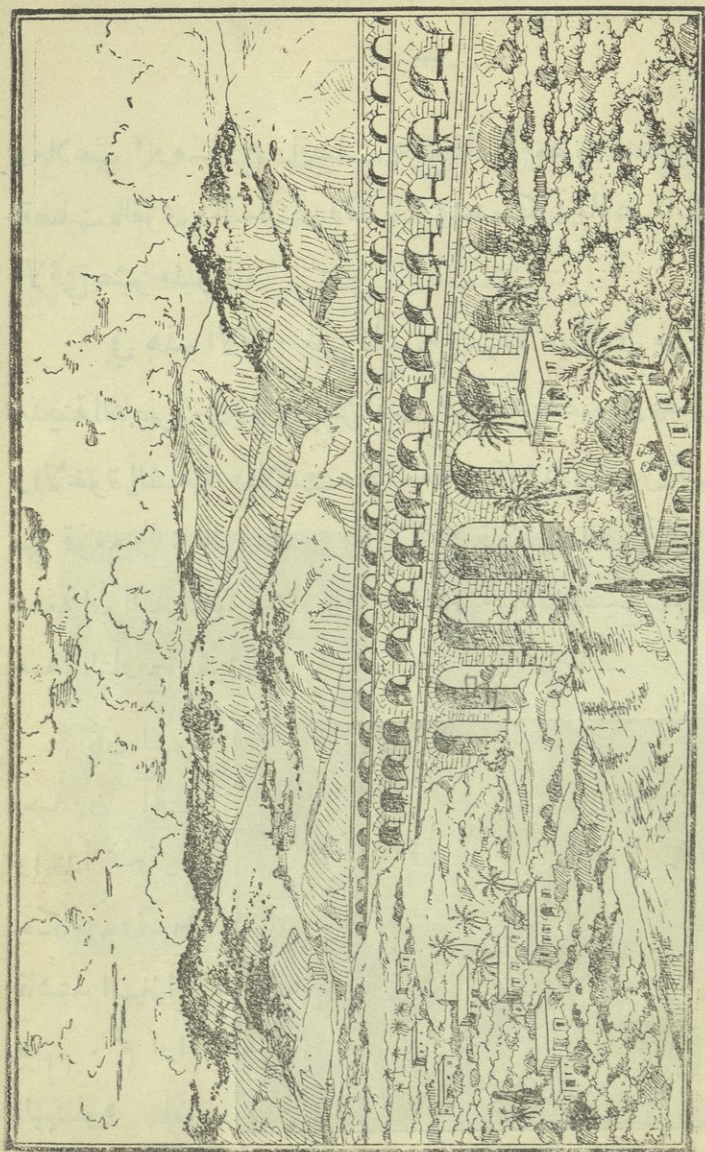


## ١١- الرومان وظهور المسيحية في سورية

حينما شرع الاسكندر الكبير في الزحف على الشرق ، كان البحر الابيض المتوسط يشهد قيام دولة جديدة تقوى فتهد العالم . تلك هي رومية : عاصمة ايطالية ، التي سادت ، في مدة قرنين ، على جميع شواطئ البحر المتوسط ، واستطاع احد قرادها بومبيوس ان يقضي على دولة السلوقيين في سورية « ٦٤ ق . م » ويجعل سورية ولاية رومانية .

نزل الرومانيون في سورية فوجدوا حضارتها اعظم من حضارة بلادهم فاحلوها المحل الاول في امبراطوريتهم ، وجعلوها المقاطعة الاولى بعد رومية . وبفضل « السلم الرماني » الذي مد رواقه على العالم اجمع انتعشت الزراعة ، والصناعة ، والتجارة بعد ان قضت الحكومة الجديدة على قرصان البحر المتوسط . ازداد عمران البلاد ورفيها مما لا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم وشاهدة على استعداد السوريين للتقدم والفلاح متى قام في بلادهم حكومة منظمة تعمل لخير المجموع ، وتسعى لترقية موارد البلاد اكثر من رغبتها في استنزاف دماء اهلها بكثرة الضرائب . فكان من جراء ذلك ان تعددت المدن واتسعت شوارعها ، وازدادت بناياتها الفخمة من معابد ،





( شکل ۲۲ ) قنات رومانیہ

وملاعب ، ومسارح واتصلت جميع المدن بعضها ببعض كما  
اتصلت بالقرى والدساكر وقد بلغ عدد سكان بلادنا ما يقارب  
الاثني عشر مليوناً .

في هذه الاثناء ظهر المسيح ، سيدنا عيسى بن مريم ، في  
مدينة الناصرة ، وقام يبشر بدين جديد يدعو الى المحبة ،  
والاخوة الشاملة . فلاقت دعوته مقاومة شديدة بين اليهود  
بني قومه ولدى الرومانيين الوثنيين ، فاضطهدوه كلهم حتى  
رفعه الله اليه وعمره ٣٣ عاماً . واعتُبر ميلاد المسيح فيما بعد  
مبدأ التاريخ الغربي .



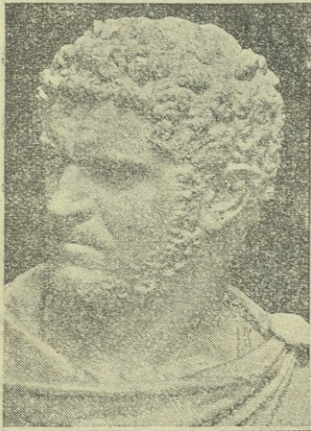
( شكل ٢٨ ) المبكى = معبد سليمان

كان اليهود  
يعبدون آلهة  
واحداً ، وكان  
حكامهم وثنيين  
فاشتد النزاع  
بينهم . ثم اراد  
اليهود ان  
يعيشوا بمعزل عن

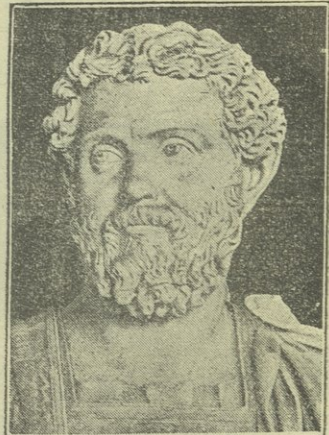


غيرهم فنفر الناس منهم . ولما تعددت فتنتهم سار تيطس  
الروماني الى اورشليم ( ٧٠ ب . م ) وفتحها عنوة ثم دمرها  
تدميراً . وزاد على من تقدمه ان شرد اليهود عن فلسطين وقتل  
منهم عدداً كبيراً .

الاباطرة الموريبونه — ظل السوريون في مقدمة  
شعوب الامبراطورية تقدناً ؟ فلم تجد رومية بدأ من منحهم



( شكل ٣٠ ) كرا كلا ثاني امبراطور  
سوري

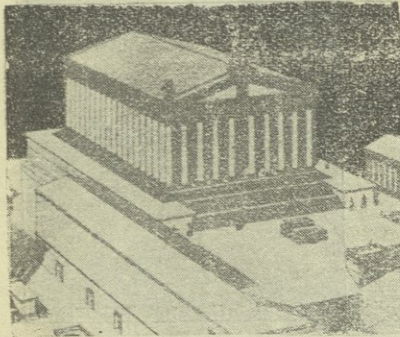


( شكل ٢٩ ) سبتيموس سيفروس  
موس الاسرة السورية في رومية

« الحقوق الرومانية » فاصبح لهم حق في قيادة الجيش وادارة  
المقاطعات ، ثم ارتقى عرش رومية اسرة سورية ، رأسها

سبتموس سفيروس وخلفه عليه اربعة هم : كراكلا ،  
والاغابالوس ، والاسكندر الجصي وفيليبس العربي ؛ وقد بقي  
الملك فيهم اكثر من نصف قرن ( ٢٤٩ — ١٩٣ ق م )

اثرهم في سورية — برت اسرة سفيروس بلادها  
فمنحت السوريين امتيازات كثيرة ، واعفتهم من ضريبة  
الاراضي ، وجعلت بعض مدن سورية على مستوى واحد مع  
رومية نفسها . ثم ضاعفت بناء الجسور وتعبيد الطرق ، ولعل  
اعظم ما في اعمال افرادها العمرانية بناؤهم هيكل الشمس



( شكل ٣١ ) معبد الشمس بعلبك

الفخم في مدينة بعلبك  
( هيليوبوليس ) بدأه  
سبتموس ، ثم زخرفه  
بالتقوش البديعة وزينه  
بالاعمدة الرشيقة ابنة  
كراكلا فأتى معبداً  
ينافس بفخامة بهوه

ورائع هندسته اهم الابنية التي شاهدها اليونان والرومان  
في العالم واجملها . ثم استمر خلفاء كراكلا يزيدون في



تلك الاروقة فبنى فيلبس العربي درج الرواق في الواجهة  
الامامية.



( شكل ٣٢ )

الستة الاعمدة الباقية من

٥٤ عمودا في معبد

الشمس في بعلبك

وكانت طريقتهم في البناء ان يشيدوا اولاً الهيكل  
وينصبوا العمدة ثم يعمدون الى نقشها وزخرفتها. وقد علمنا  
ذلك من رؤيتنا اجزاء كثيرة في الافاريز ومن قواعد الاصنام  
خالية من النقوش؛ واقساماً كبيرة من جدران الاقبية السفلى  
بلا نحت.

ومما يشرف اسم هذه الاسرة السورية — التي نفتخر  
بها — انها رفعت للعلم في بلادنا مناراً . فشيدت المدارس



( شكل ٣٣ )

قطعة من افرزب الاعمدة في

معبد الشمس

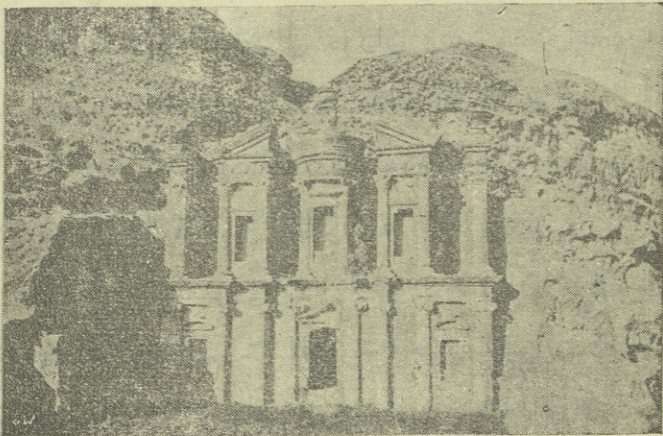
الكثيرة التي منها : مدرسة الحقوق في بيروت ؛ فكانت تبعث  
بمخرجيها الاعلام الى انحاء الامبراطورية . وما اشبه بيروت  
اليوم ببيروت البارحة او قد استمرت هذه النهضة المباركة  
حتى قضت الزلازل العديدة في القرن السادس على اكثر مدن  
الساحل ومنها بيروت وجامعتها

وكان للتدريس لغتان : اللاتينية ( لغة الرومان ) لدرس  
الحقوق ، واليونانية لسائر الفنون والفلسفة . اما لغة التخاطب



فظلت الارامية .

لكن حظ المرأة من هذه النهضة العلمية لم يكن باقل من حظ زوجها وقتئذ. ان الامبراطورة جوانيا دوما، وليدة حمص، كانت ترأس مجالس العلم والادب وتعهدها في البلاط لتبحث مع اربابها في مختلف العلوم والفنون، حتى عرفت «بمشجعة الفلسفة»



(شكل ٣٤) قصر في سلع منحوت من الجبال

## ١٢ - سلع : المدينة المنحوتة في الصخر

في جنوبي فلسطين، عند منتصف المسافة بين البحر الميت وخليج العقبة، مقاطعة جبلية صخرية اسمها وادي موسى، يقوم في وسطها مدينة عرفها العرب باسم سلع، وسمّاها اليونان «بترا» اي الحجر.

وسلع بحكم موقعها محطة تجارية ومماكة امتد نفوذها منذ القرن الرابع قبل الميلاد الى حوران ودمشق. واعظم ما في سلع البيوت والمسارح والملاعب والهياكل المنحوتة من الجبال. اما سكانها فكانوا انباطاً يتكلمون الارامية. وهم ساميون كالفيثيين والبرانيين والعرب.

لم يحصن السلعيون بلادهم لوعورة مسالكها، ولاشتغالهم بالتجارة اذ كان همهم اخذ المكوس وجباية الضرائب، ينفقونها على عمارة بلادهم واسباب لهوهم. فلم ينتصف القرن السابق للميلاد حتى كنت ترى الانباط وقد احتكروا التجارة بين الشرق والغرب وجمعوا ثروة طائلة، جعلت تغري غيرهم بهم، وببلادهم. وظلت مملكتهم قائمة من غير ان تصل اليها يد اليونان



رغم مساعيهم العديدة .

الا ان الرومان ما لبثوا ان ازعجوا اولئك الانباط  
بجملاتهم المتواليية، وسلبوهم استقلالهم في القرن الاول للميلاد.  
ثم ضموا بلادهم الى مقاطعة حوران التي كانوا يطلقون عليها  
اسم « المقاطعة العربية ». في تلك الاثناء كثرت مبادئ سباق  
الخيال ، ومدرجات المسارح وشوارع الاعمدة في بصرى وعمان  
وجرش ومأدبة وغيرها من المدن التي لا يزال السياح يزورونها  
حبا في التفرج بأثارها القديمة ، والتعمق في دراستها . لكن  
الانباط المشيطين ما عثموا ان نقلوا جهودهم التجارية من  
الجنوب الى الشمال حيث اقاموا مدينة جديدة كان لها اثرها  
ونفوذها في تاريخ بلادنا ، وما تلك المدينة سوى تدمر القائمة في  
وسط صحراء سورية .

### ١٣ - زنوبية والامبرطورية السورية

إن الانفة التي بعثها حكم الاسرة السورية في النفوس ظهرت جليلة في امارة تدمر وحكامها . كان الساسانيون (حكام بلاد العجم) ينازعون ، في مطلع القرن الثالث للميلاد ، الرومان السيادة على بلادنا فنهض أذينة امير تدمر ، وردهم عن بلاده . ثم التفت الى التنظيم الداخلي ، ولكنه قُتل قبل ان يتم مشروعه عندئذ نهدت للامر بعده زوجه زنوبية التي تمثلت فيها النفسية السورية الوثابة والثقافة العلمية العامة .



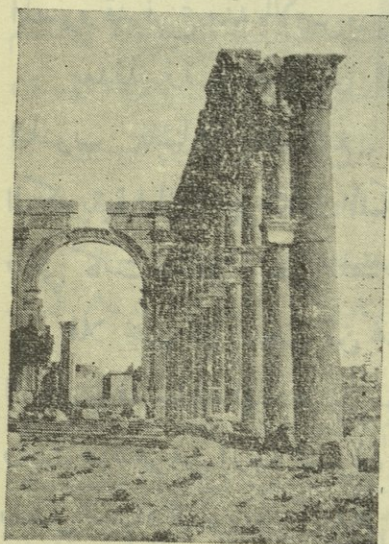
وكانت زنوبية رأت من العار ان  
لا تطرد الرومانيين من بلادها بعد ان  
طردها زوجها أذينة الساسانيين ؛ فهاجمتهم  
واجلت جنودهم عن البلاد كلها ؛ ثم  
استولت على مصر وآسية الصغرى  
وضمتها الى سورية ، وقد طمعت بما وراء

( شكل ٣٥ ) زنوبيا  
ذلك : ان ترفع ابنها وهب اللات على عرش رومية نفسها ؛ غير  
ان امنيتها هذه لم تتحقق اذ ان جيوش الرومانيين وهي تحت



امرة الامبراطور اورليانوس انصبت على زمردة الصحراء  
( ٢٧٠ م ) وبددت آمالها .

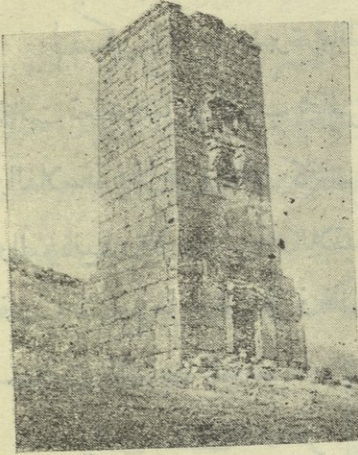
لم تكن زنوبية مدبرة ممالك وقائدة جيوش فحسب ، بل  
كانت تعقد للعلم والادب مجالس في قصرها وتقرب اليها الشعراء  
والفلاسفة ولا غرو فانها كانت تحسن من اللغات اربعا : العربية  
واليونانية والآرامية واللاتينية . وكانت زنوبية فوق ذلك  
فارسة تشجع ما عرف في زمانها من فنون الرياضة وتترأس  
حفلات الالاب العامة .



( شكل ٣٦ ) شارع الاعمدة في تدمر

زالت سلطة تدمر  
ولكن الجيوش الرومانية لم  
تستطع ان تمحو آثار عظمتها  
الخالدة فاننا . لا تزال حتى  
اليوم نرى شارع الاعمدة  
وهيكل الشمس بما فيهما  
من الدقائق الفنية ، ثم نتجه  
نحو الجنوب الغربي لنزور  
القبور ، فاذا هي ابنية مربعة

ولكنها ذاهبة في الفضاء ذهاباً بعيداً؛ ندخلها منحدرين في



درك فاذا نحن امام نواويس

(توابيت حجرية) نقرت لها

اماكن في الجدران ، وامام

كل نواوس شمال صاحبه ،

او صورة له ملونة تلويناً

لا يزال زاهياً قوياً كأن

المصور قد فرغ منه بالامس .

بعدئذ نرتد قليلا الى

الجنوب للشاهد المنابع (شكل ٣٧) احد مدافن تدمر

الكبريتية الحارة التي كانت الملكة والاشراف يستحمون فيها

والتي كانت مشافي لبعض المصابين بامراض جلدية مختلفة .

فلا يجب ان نعجب من هذا العمران فان مركز تدمر

التجاري قد ساعد ابناءها على توفير الاموال ، فانفقوها فيما

رأيت عندهم من اوجه العمران الفني والعلمي ؛ وما ذلك الا

بفضل اجتهاد السوريين وجددهم





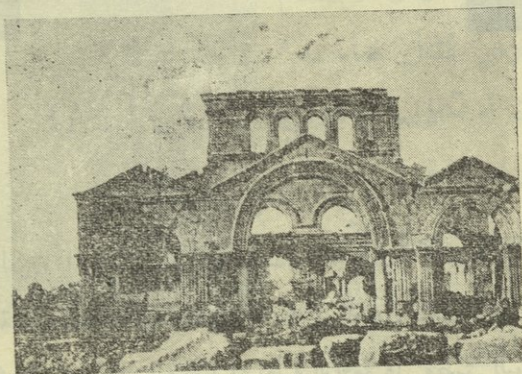
## ١٤ - الروم في سوريا

= الضعف بعد القوة =

يتميز القرن الميلادي الرابع بانتشار الديانة المسيحية ، وبانقسام الامبراطورية الرومانية الى قسمين : قسم في الغرب ظلت عاصمته رومية ، وقسم في الشرق اصبحت عاصمته بيزنطية الواقعة على مضيق البوسفور . ثم جعل الامبراطور البيزنطي ، قسطنطين الاول ، الديانة المسيحية مذهب الدولة ؛ وسعى بيزنطية باسمه « القسطنطينية » ، وهي التي سماها الاتراك استانبول . وكان اباطرة بيزنطية يرنازين لارومانيين ، فدعاهم العرب « الروم » .

اما حظ سورية من الروم فكان سيئاً جداً . لقد جزأوا البلاد اجزاء ستة ؛ وابعدوا السوريين عن الجيش ؛ واستبدلوا الجيش النظامي بحاميات على الحدود . فنفر السكان منهم نفوراً تمثل في النزاع الديني ، وفي رجوع السوريين الى الاخذ بالسيب

فن المعمار الوطني ؛ والى احياء اللغة الآرامية وآدابها . فظهرت  
في ميدان العلم والادب مدن عديدة اهمها : غزة في الجنوب ،  
والرها في الشمال . وبقيت آثار الكنائس حتى يومنا موضع



( شكل ٣٨ ) « قلعة سمان » ترى الفن السوري المسيحي

دهشة المنقبين ، ودليلا على انها اصل لفن البناء في اوربة مدة  
القرون الوسطى .



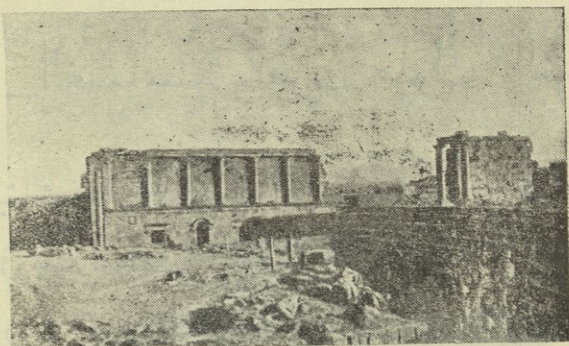


## ١٥\_ الغساسنة العرب ملوك الشام

حينما شعر الروم بضعف الحاميات ، على حدود سورية ،  
اقاموا في حوران امارة عربية نصرانية - من بني غسان —  
لصد غارات الفرس الساسانيين ، الذين اقاموا ، هم ايضاً ، على  
حدودهم امارة عربية في الحيرة شرقي الفرات تعرف بامارة  
المناذرة . وقد اتصل النزاع بين المناذرة والغساسنة من اجل  
ذلك . وفي سنة ١٥٤٠ اكتسح كسرى انوشروان سورية مقتحمها  
منبج وحلب وانطاكية . وهكذا استمرت الحرب بين الروم  
والساسانيين ما يزيد عن نصف قرن .

اخذ الغساسنة يحظ من مدينة الروم ، واشتهر بلاطهم ايام  
ملوكهم : آل جَفْنَةَ ، بالترف وبتشجيع الادب . وظل اتصالهم  
بشبة جزيرة العرب عن طريق التجارة واللغة عظيما . وكان  
حسان بن ثابت — شاعر الرسول فيما بعد — يتردد بين بلاطني  
الحيرة وجِلْق (احدمرا كز ملوك غسان في حوران) ويمدح ملوكهما

وفي اثناء ذلك كان في الحجاز من بلاد العرب نهضة دينية



( شكل ٣٩ )

بعض خرائب بصرى والى اليمين مدرج ملعبها .

قومية تعمل على جمع شتات العرب وجعلهم امة واحدة . وما  
هذه النهضة سوى ظهور الاسلام على يد الرسول الاعظم  
محمد بن عبد الله .

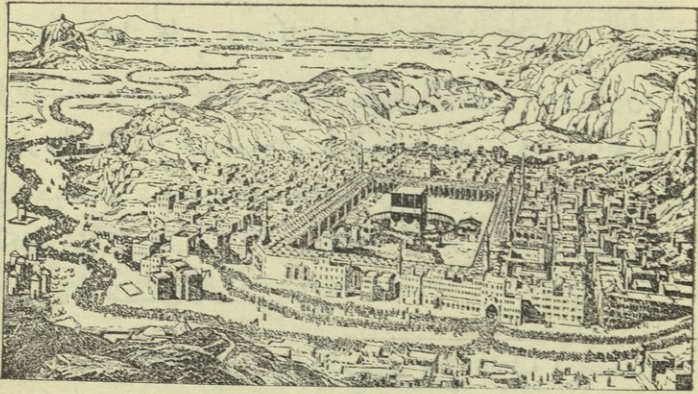




## القسم الثاني

• ودية في العنبر الوسعوى

### ١٦ - العرب والدعوة الإسلامية



( شكل ٤٠ ) المسجد الحرام في مكة

لقد عرفنا شبه جزيرة العرب حينما كنا ندرس احوال الموجات السامية  
المتدفقة منها ، وسنرجع الآن لندرس احوال الباقين فيها ، قبل ان نعرض  
للفتح العربي .

عاش اكثر العرب في شبه جزيرةهم بدواً رُحلاً ، لم يطمع فاتح فيهم

لصعوبة اختراق بلادهم ولشجاعتهم ، ولم يخلطوا بالعالم ؛ الا ما كان من تجارهم ، الذين كانوا يتددون بالبضائع بين فارس ومصر عن طريق سورية او عن طريق الشواطئ . الحجازية اليانية .

**الحجاز** - يتبع الحجاز في الشمال الشرقي من البحر الاحمر وهو اهم ما يستحق عنايتنا الان من بين جميع اقسام شبه الجزيرة ، وذلك لظهور الاسلام فيه وتعاون مئذنه الثلاث : مكة ، ويثرب ، والطائف على نشر الدين الجديد .

**مكة** محطة تجاربه ومركزه ديني - كانت مكة اشهر مدن الحجاز قبل الاسلام ، وأعظم محطة تجارية على طريق القوافل ، ما بين اليمن وسورية ومصر والIraq . وكان لسكانها في السنة رحلتان : في الشتاء الى اليمن ، وفي الصيف الى سورية ؛ هذا فضلا عن وجود « البيت العتيق » فيها وهو الكعبة التي كان العرب كافة يحجون اليها من جميع انحاء شبه جزيرتهم ويقدمون الاضحيات لاصنامهم فيها .

**ظهور الاسلام** - وفي العرب في غمرة الجاهلية ، يعبدون الاصنام ويفزون بعضهم بعضاً ، ظهر فيهم الرسول الكريم ، محمد بن عبد الله ، وهو من بني هاشم اشرف الترشيين .

**نشأة محمد** - نشأ سيدنا محمد يتيماً وشب فقيراً ولكنه كان في صغره مثال الوداعة في الاخلاق ؛ وفي شبابه عنوان الامانة في المعاملة . واما باخ الاربعين من عمره صدع برسالة ربه ودعا قومه الى الاسلام . فناله اذى كثير . ولكن عزمه لم يلبس ، وقوته لم تنح . ولما تحقق لديه اصرار اهل



مكة على الكفر والايقاع به هاجر الى يثرب - شمل مكة - وهي التي سميت فيما بعد « مدينة الرسول » ثم اختير اسمها فاصبح « المدينة »  
ولما وصل محمد عليه السلام الى « المدينة » خرج السكان باجمعهم يستقبلونه ، وامتلات المدينة فرحاً وسروراً ، حتى ان الاطفال كانوا يسرون في الاسواق فرحين يقولون : « قد جاء محمد ، قد جاء » . ولقي المهاجرون كل اكرام واعتناء . ولم يرض على الهجرة عشر سنين حتى اصبح محمد عليه السلام سيد الجزيرة كلها . فاتخذ المسلمون يوم الهجرة فيما بعد ( ايام الخليفة عمر بن الخطاب ) مبدأ لتاريخهم .

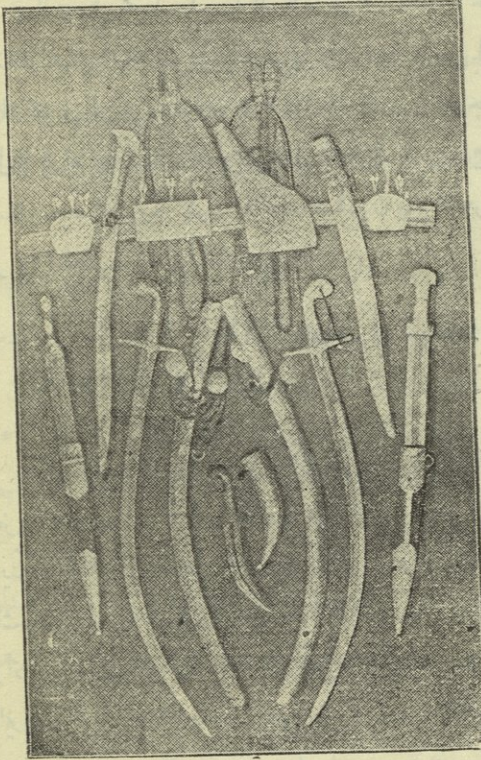
### ١٧ - العرب في سورية

١٤ - ٩٢٢ هـ      ٦٣٥ - ١٥١٦ م

كان الفتح العربي احدى تلك الموجات السامية ، التي خرجت من شبه جزيرة العرب . واكتنفا تختلف عن كل ما سبقها في انها حملت الى العالم اجمع ديناً و لغة ، وان اثرها كان ابعداً واعم . ولقد اراد العرب ان يفتحوا العالم لنشر الاسلام ، فجهزوا جيشاً جاء الى سورية و اتلمى الروم عند نهر اليرموك وانتصر عليهم بقيادة خالد بن الوليد و ابي عبيدة الجراح ، وبعد معركة اليرموك ( ١٤ هـ ) اصبحت سورية ولاية عربية .

سورية ابام الفتح - لم تكن نتيجة الفتح ان استبدلت سورية فاتحاً باخر . كلا ، بل ان السوريين عرفوا في العرب اخواناً لهم في الجنس واللغة ، اوليسوا جميعهم ساميين ؟

ولقد ظهر من موقف العرب في المناوشات الاولى مع الروم  
انهم لم يكونوا يقصدون نيل السوريين باذى ، بل كانوا



(شكل ٦١) اسلحة عربية قديمة

يعملون على طرد  
الاجنبي من البلاد  
وتخليص السكان  
من ظلمه وطمسه  
ودليلنا على ذلك  
انضمام السوريين  
الى العرب ،  
ومساعدتهم على  
حرب الروم .

ظلت حالة  
سورية الاجتماعية  
في دور الفتح  
كما كانت عليه

قبله ، وبقيت جيوش الفتح بعيدة عن الاهالي فلم تخلط بهم  
في سكنى او ترواج او عمل ، وذلك حياً بالانصراف الى اعمال



الفتح ولحافظتهم على الحماسة الحربية كما اوصى سيدنا عمر بن الخطاب . وقد اقام العرب في اجنادهم ( معسكراتهم ) بعيدين عن الحضرة . ثم بدأت الجاليات العربية تتوافد على البلاد وتسكن في فساطيط في ظواهر المدن لتغذي جيش الفتح عند الحاجة بالرجال .

هذا في الداخل اما على الساحل فقد وجد معاوية بعد الفتح ان بعض المدن خالية من السكان بسبب هجر الروم لها ؛ فأتى بجوال من فارس والعراق واسكنها تلك المدن . وهكذا اصبح سكان سورية في زمن الفتح طبقات ثلاثة :

المسلمون العرب — جاء هؤلاء مع الجيش قواداً وجنوداً او مهاجرين يؤفون جوالي — قوم يسكنون في بلاد غريبة مراً — يتناولون من بيت المال ( خزانة الدولة ) مبالغ تتناسب مع نسبهم وحسبهم ؛ فيصيب المنتسب الى آل بيت الرسول اعظم من نصيب غيره ، ونصيب الفارس اكبر من نصيب الراجل ، وحظ الذي هاجر مع النبي عليه السلام اعظم من حظ الذي لم يهاجر .

المسلمون من غير العرب — وجد السوريون ان العرب

أرحم من الروم؛ لا يضطهدون من ليس من دينهم، ولا يرهقون  
السكان بالضراب ولا يتشددون في الرق — ان تشتري انساناً  
او تأسره في الحرب فيصبح عبداً لك — ثم التفتوا فوجدوا  
ان المسلمين لهم امتيازات يتساوون فيها، لا فرق بين الامير  
والفارس، ولا بين الغني والفقير عملاً بقوله تعالى: « ان اكرمكم  
عند الله اتقاكم » فأخذ بعضهم يدخل في الاسلام افواجاً .

غير المسلمين — لم يُكره المسلمون احداً على اعتناق  
الاسلام ولذلك بقي كثير من سكان سورية، في اول امرهم  
على النصرانية . حرص العرب على المحافظة عليهم وحمايتهم،  
وسمواهم « اهل الذمة » اي اهل الامان والعهد . وقد ترك  
المسلمون لهؤلاء الحرية الدينية التامة، ومنحهم حقوقاً دنيوية  
واسعة، ولكنهم كانوا يأخذوا منهم جزية صغيرة جداً . فكان  
الغني يدفع اربعة دنانير في العام ( ٢٠٠ قرش ذهباً ) والمتوسط  
الحال دينارين، والفقير ديناراً واحداً . وأعفي المرضى والعاطلون  
من العمل ورجال الدين والنساء من هذه الضريبة .



## ١٨ - بنو أمية في الشام

### المملكة العربية

١ - دور التأسيس - من معاوية الاول الى عبد الملك بن مروان

القبائل من بني امية - بنو امية قرشيون كاقربائهم من بني هاشم ؛ أتى منهم في جيش الفتح يزيد بن ابي سفيان وأخوه معاوية وقد أبلى الاخوان بلاء حسناً في فتح المدن الساحلية كبيروت وحمور وقيساريه ( بلدة جنوبي حيفا ) ثم ولّى الخليفة عمر بن الخطاب يزيد على البلاد السورية كلها ، وخلفه اخوه معاوية من بعده .

معاوية حاكم سورية - كان معاوية يحلم بالملك منذ كان في الحجاز ، فما كاد يتولى سورية حتى شرع يعمل على التجنب الى الوطنيين واستأتمهم بتعيينهم في المناصب واتخاذ المعاوين منهم . هذا ولم يغفل عن التقرب الى العرب ايضاً بوسائل شتى وخصوصاً بالمال . وفيما هو جاد في سياسته هذه حدث في الحجاز فتن ( سنحدثك عنها في الجزء التالي بالتفصيل ) قتل فيها

خليفتان : عثمان بن عفان الاموي ، وعلي بن ابي طالب الهاشمي رضي الله عنهما . فانتهز معاوية الفرصة واعلم نفسه خليفة في الشام ؟ فانتقلت الخلافة من المدينة في الحجاز الى دمشق في سورية .

معاوية مؤسس الخلافة الاموية — كان اول ما عمله معاوية بعد مبايعة المسلمين له بالخلافة ، ان التفت الى تثبيت مركزه ومركز أسرته في الملك ، فاتخذ من السوريين جيشاً للدفاع عن الخلافة كما أنه اسس اسطولاً لمهاجمة الروم في بلادهم وفتح القسطنطينية عاصمتهم . ولما أمن مناوأة الاحزاب المعادية ، جعل ابنه يزيد ولياً للعهد : يرث الملك بعده . وهكذا انقضى عهد الخلفاء الراشدين المنتخبين : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وبدأ عصر الملك الوراثي .

الفرع المرواني — خلف يزيد اباه معاوية وكان ينقصه كثير من سياسة ابيه ودهائه فقامت الفتن عليه في الحجاز والعراق ثم بويع بعده للخلافة ابنه معاوية الثاني وكان صغيراً وضعيفاً فأثر التنازل لسواه . عندها تعددت الاحزاب وكثر المطالبون بالخلافة ولكن مروان بن الحكم ، شيخ بني امية وقتئذ



استطاع ان يجارب منافسيه وينتصر عليهم في مرج راهط  
( شرق دمشق ) وينقل الخلافة من الفرع السفيفاني الاموي الى  
الفرع المرواني الاموي .



*[Faint, mostly illegible text in Arabic script, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is arranged in several lines, with some words being recognizable, such as 'الفرع المرواني' and 'الاموي'. A small circled number '(٥)' is visible at the bottom left of this section.]*

## ١٩ - عصر سوريته الذهبي

ب - دور العظمة • الحياة الاجتماعية والمعمارية والفكرية

من عهد الملك الى هشام

يمتد دور العظمة نصف قرن بلغ فيه العرب عامة  
والسوريون خاصة اعلى درجات القوة والفلاح ؛ فتمتعوا  
بالنفوذ المطلق في امبرطورية امتدت ما بين الهند شرقاً والمحيط  
الاتلنطيكى غرباً (خريطة ٢) ويعود الفضل في ذلك الاتساع الى  
عبد الملك وابنه الوليد ومعاونيهما من رجال الادارة والقيادة .  
الحياة الاجتماعية - ما كاد العرب يستقرون تحت  
سماء بلادنا الجميلة حتى استهواهم هواؤها واغراهم طيب مناخها  
في هجر الاجناد « المعسكرات » في دابق « الشمال » ، والجابية  
« حوران » ، وعمواس « فلسطين » ؛ وجعلوا يستطيون السكنى  
في المدن ويفضلونها على الارياف ؛ فنشأ من ذلك اسباب  
الترف والنعيم وشرعوا يتطاولون في البناء ويستكثرون من  
العبيد والموالي ، يستخدمونهم في اراضيهم وقضاء حاجاتهم .



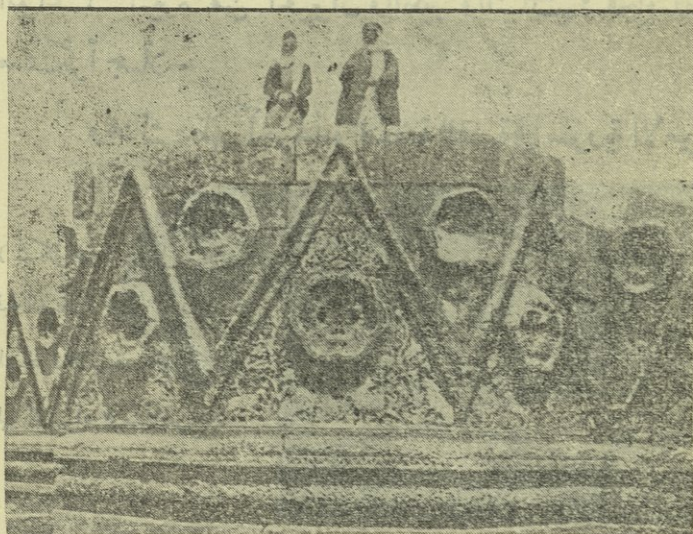


هذا ما كان من أثر سورية في العرب ، اما هم فعربوها ،  
وفتحوا امام اهلها المدخول في دين الله ( الاسلام ) وذلك يعلمهم  
لغتهم لغة الحكومة الرسمية ، وسكهم منذ ايام عبد الملك  
النقود العربية ، وتساعدهم الديني مما جعل السوريين يصطبغون  
بلغة الفاتحين ودينهم ، وكان ذلك بالتدريج . فازداد بذلك عدد  
المسلمين في المدن الكبرى ولا سيما الداخلية منها حتى ان  
دمشق وحدها اصبحت تضم اكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة .

وكان من مظاهر الحياة العربية ان انتقلت العصبية  
« العداوة بين القبائل » الى بلادنا . نزل في سورية منذ ايام  
الفتح قوم من عرب الشمال ( شمالي شبه الجزيرة ) يُعرفون في  
التاريخ باسم القَيْسِيَّة ، وقوم من عرب الجنوب يعرفون باسم  
اليمنية ، وكان هؤلاء اعداء منذ ايام الجاهلية . ثم جاء الاسلام  
فقضى على العصبية . ولكن لما خرجت القبائل الى البلدان  
المجاورة وحدث النزاع والفتن ، عادت العصبية الى ما كانت  
عليه . وقد نشبت بعد موت يزيد بن معاوية ، وظلت ناشبة حتى  
كاثت احد الاسباب التي قضت على الخلافة الاموية كما  
ستعلم في حينه .



الربيعي والعمري — بعد ان ثبتت الخلافة الاموية ،  
واستتب الامن بدأت مظاهر الرقي وال عمران تتجلى في اعمال  
الامويين . فبُنيت الاقنية واصلحت طرق الري التي قضي  
عليها اهمال الحكم البيزنطي . وما ان اتسعت الاعمال الزراعية  
والتجارية حتى نمت ثروة البلاد فانشئت الدور والقصور

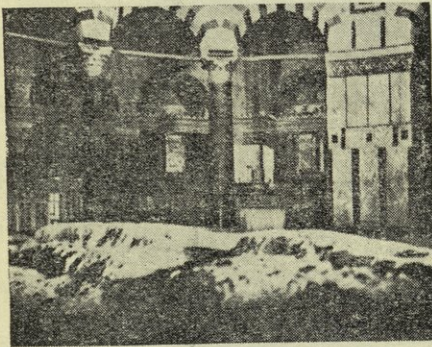


( شكل ٤٢ ) قصر المشق من بناء الوليد الثاني الاموي ( شرقي الاردن )

واتسعت المزارع وطابت الحياة في ظل الحكم العربي الاموي .  
اما القصور العديدة التي اقامها الامويون والاشراف في المدن

والبادية فقد درست كلها الا « قصر المشتى » الذي يقوم على حدود البادية على بعد ٢٥ كيلو متراً جنوبي عمان .  
كان هذا القصر في مكان قفر لا ماء فيه ولا شجر ؛ ومع ذلك فقد كان ذا نقوش جميلة جداً إذ جعلوها على شكل مثلثات كبيرة ثم ملأوها بالزخارف البديعة التي تمثل انواعاً كثيرة من الحيوان والطيور والنبات ، فجاء نقشه مبتكراً جميلاً .

وهناك مظهر آخر لهذه النهضة الفنية في سورية الاموية :



( شكل ٤٣ ) داخل مسجد  
قبة الصخرة ، وفي المقدمة  
الصخرة الشريفة التي كان  
اليها الاسراء ، ومنها العراج .

المساجد الفخمة التي شيدها الخلفاء في القدس ودمشق وقد أنت دليلاً واضحاً على مبلغ عناية المسلمين في تجميل مساجدهم . ولا عجب فبيوت العبادة عنوان اصحابها ومظهر فخرهم ورفيقهم .



الحياة الفكرية — ظل للشعر والخطابة في هذا العصر  
اتصال وثيق بحياة الشعب وحياة الدولة .  
اما الخطابة فلعلقتها بالعودة والفتح ، واما الشعر  
فلاتصاله في السياسة من حيث هجو الخصوم ؛ فكان الامويون  
جد حريصين على ان يكونوا هم انفسهم خطباء بعيدين عن  
اللعن المقوت .



نقود عبد الملك

## ٢٠ - الدعوة الهاشمية

دور الضعف وانقضاء الحكم الاموي

بدر الضعف - عرف عمر بن عبد العزيز بنقضاء النفس ، وطيبة القلب والتقوى ؛ فلم يشأ ان ينهج نهج الشدة في الحكم ، وفي قمع الفتن ؛ بل أحب ان يري المسلمين كلهم سواء : العرب منهم وغير العرب ؛ فكان من جراء ذلك ان رفعت الاحزاب رؤوسها وبدأت تقاوم الامويين وسياستهم العربية . وما ان توفى عمر ( ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م ) حتى اصبحت تلك المقاومة تهدد الامبرطورية الاموية بالسقوط .

الدعوة الهاشمية - اخذ بنو هاشم منذ زمن بعيد « يدعون الناس الى الرضى من آل محمد » ، والى القبول بان يتولى الخلافة رجل من اسرة محمد عليه السلام . ثم انشأوا مراكز للدعاية ، وخصوصاً في العراق والبلدان التي تقع شرقي العراق ، حيث يكثُر اشيعهم وانصارهم ؛ وحيث السكان كلهم فرس أو أتراك ، ناقرون على سياسة بني امية العربية .

مروان الثاني - كان مروان الثاني آخر الخلفاء الامويين ، حتى انه كيقاس بماوية وعبد الملك . ولكنه اتى والفتن



كثيرة ، والفوضى منتشرة في كل مكان ؛ والنقمة على بني  
امية في ازدياد ؛ فلم يستطع ان يحتفظ بملك اجداده طويلاً .

معركة الزاب - لما بلغ ضعف بني امية اشده ، وبلغت قوة الدعوة  
الهاشمية اشدها ، سار ابو مسلم الخراساني - وهو ساعد الهاشميين الايمن في  
دعوتهم - على رأس جيش من اقصى الشرق متجهاً الى الغرب . كان هذا  
الجيش يستولي على البلدان بلداً بلداً ، ويطرد منها عمال بني امية ، ثم يقتل  
انصارهم . ولما بلغ العراق التقى بجيش الامويين على الزاب الاكبر - احد  
زوافد دجلة - فتشتت الجيش الاموي واصبحت الخلافة للعباسيين واصبحت  
سورية مقاطعة عباسية ، ونزلت بذلك عن مركزها العظيم الذي احتفظت  
به قرناً كاملاً .



## ٢١\_ الخلافة العباسية في بغداد

عصر العباسيين الذهبي - النفوذ الفارسي في العراق وسورية

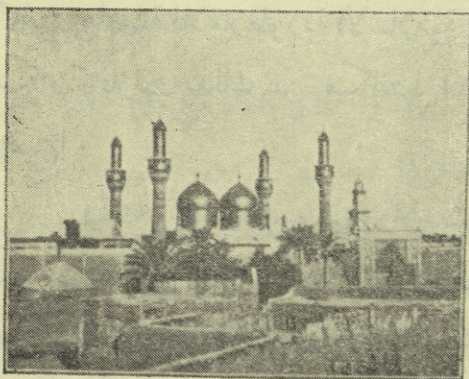
عواصم الاسلام - كانت مكة عاصمة الاسلام الاولى : فيها بدأ النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة . ثم هاجر الى المدينة ، فانتقلت العاصمة من الجنوب الى الشمال . ولما ذر الخلاف بين علي ومعاوية ؛ انتقل علي كرم الله وجهه الى الكوفة - في جنوبي العراق - واستقر معاوية في دمشق ، وهكذا تحركت العاصمة الى الشمال ايضاً . بعدئذ جاء العباسيون فاستقروا حيناً في الكوفة ، ثم في الأنبار والحاشمية على الفرات ؛ ثم بنوا بغداد ، فكانت العاصمة دائماً تتحرك نحو الشمال .

«مدينة السلام» مدورة - اراد المتصور ( الخليفة العباسي الثاني) ان يتخذ عاصمة وسطاً بين المشرق والمغرب ، بعيدة عن حزب الامويين في الشام ؛ وعن حزب آل البيت في المدينة والكوفة ، قريبة من اشياء العباسيين ؛ فوقع اختياره على مكان يدعى بغداد . بنى المتصور عاصمته في وسط العراق على نهر دجلة وجعلها مدورة على شكل مدينة سامال الارامية ثم سماها «مدينة السلام» ولكن الاسم القديم تغلب على الاسم الجديد وعاد الناس يسمون عاصمة العباسيين بغداد .

الحضارة الفارسية في بغداد - لقد علمت ان الفرس هم الذين



ساعدوا بني العباس في حرب الامويين ، ثم رفعوهم على عرش الامبرطورية  
الاسلامية . اراد العباسيون ان يكافئوا الفرس فجعلوا منهم الوزراء  
والكتاب والقواد فكثرت العنصر الفارسي في البلاد العربية عموماً وفي  
العراق خاصة .



(شكل ٤٤)  
مسجد من مساجد  
بغداد . يريك تأثير  
الفن الفارسي في فن  
العباسيين

أتى الفرس الى البلاد العربية بعاداتهم وأزيائهم فأشاعوها في بغداد .  
وقد الناس سكان العاصمة فشاءت حضارة الفرس في البلاد الاسلامية  
كلها . وقد بلغ نفوذ الفرس أشده في زمن هرون الرشيد ١٧٠٥ - ١٩٣  
٨ - ٨٠٩ م « حينما استطاع البرامكة - وزراء الرشيد - ان يستبدوا  
بامور الدولة ويرفعوا من شأن النرس ويساعدوهم . فنقم عليهم العرب ،  
وفكبهم الرشيد نكبة لا يزال الناس يتحدثون بها الى الان .  
وقد شهدت بغداد في زمن هرون الرشيد ازهى عصورها ؛ اذ انصبت  
فيها ثروة الامبرطورية ورحل اليها العلماء والادباء والشعراء من كل مكان ،

واصبحت مقصد طلاب العلم ، ورؤاد الهوى ، وغاية السائح ، ومحط  
رجال التاجر .

رُؤل سوربه عن مكائنها الساميه — مسورية عادت  
الآن مقاطعة بسيطة يرسل العباسيون اليها الولاية ، بعد ان  
كانت عاصمة للامبرطورية الاسلامية ، ترسل الولاية الى كل  
مكان . فنزلت بذلك عن مكائنها الاولى السامية ، وقلت  
اهميتها .

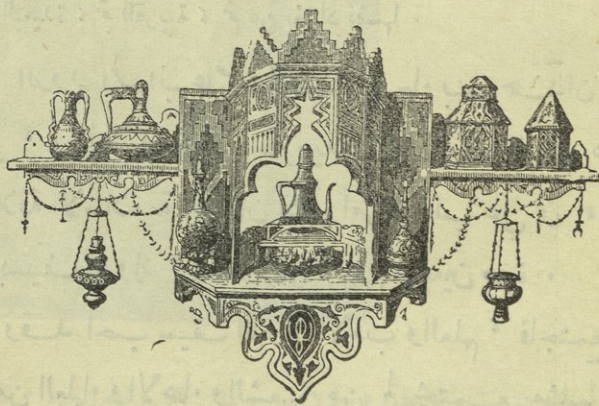
وقد جرب السوريون ان يثوروا على العباسيين ؛  
فكانت فتن في شمال لبنان ، وفي دمشق ، وفي فلسطين ؛  
غير ان العباسيين كانوا يتمكنون في كل مرة من اخماد هذه  
الفتن ، ولو بشيء من الشدة .

العلم والفلسفه في بغداد وسوربه - لاشك في أن أكبر خدمة  
قدمها العباسيون للعرب والاسلام خاصة ، وللعالم عامة كانت في تشجيعهم  
الكتابة على ترجمة الكتب القديمة في العلم والفلسفه . لقد بدأ العباسيون منذ  
ايام المنصور « ١٣٦-١٥٨ هـ ٧٥٤-٧٧٥ م » بالبحث عن كتب الفلسفه  
اليونانية والفارسية والهنديّة ، ولكن هذه الحركة العلمية بلغت أوجها في أيام  
الخليفة عبد الله المأمون « ١٩٨-٢١٨ هـ ٨١٣-٨٣٣ م » ابن هرون الرشيد .  
كانت أكثر الكتب التي ترجمها العرب يونانية . ولكن



العرب المسلمين انفسهم لم يكونوا يعرفون اللغة اليونانية ،  
فهدوا بترجمة هذه الكتب الى السريان «النصارى» الذين كانوا  
يعرفون تلك اللغة . وهكذا تبدلت سورية بعظمتها  
السياسية الغابرة عظمة علمية . إن اكثر هؤلاء السريان الذين  
ترجموا كتب الفلسفة سوريون .

اما اشهر مرا كز العالم والتعالم الفلسفي في ذلك الحين  
فقد كانت نصيبين والرها وحران ، من شمال سورية ؛  
ولكن بعض هؤلاء العلماء كانوا من بعلبك وصور وبيروت  
ايضاً .



(شكل ٤٥) الصناعات الاسلامية

## ٢٢ - ضعف الخلافة العباسية

توالي الحكومات على سورية

الانزاع - بعد تلاشي النفوذ الفارسي احتاج الخليفة المعتصم - احد ابناء الرشيد - الى جند ، واتفق مجي . بعض القبائل التركية من اواسط آسية فاتخذ منهم جنداً في جيشه . ولكن بعد ان أصبح هؤلاء قواداً وامراء ووزراء تغلبوا على العنصر العربي ، واستبدوا بامور الدولة ، ثم كانوا من أهم الاسباب التي أدت الى ضعف الخلافة العباسية والى تقلص سلطتها عن الامصار البعيدة ، ثم القريبة ، ثم عن بغداد نفسها .

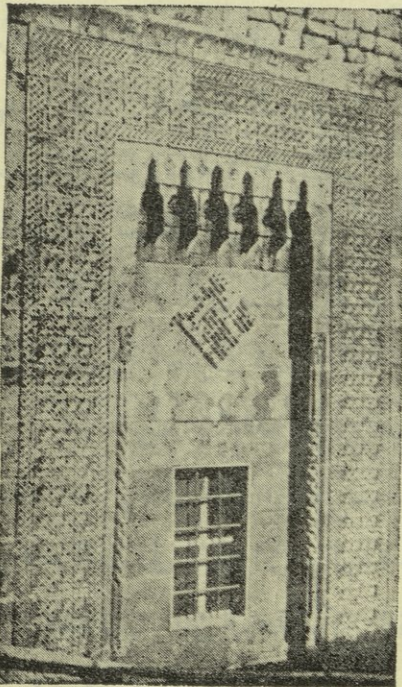
الدولة الممراية عاصمتها حلب - جاء بنو حمدان من الموصل ، ونزلوا في شمالي سورية ، يحاربون الروم دفاعاً عن الخلافة الاسلامية . وكان اشهر امراء حلب علي بن حمدان الملقب بسيف الدولة ، والذي غزا الروم اربعين مرة .  
وقد احب سيف الدولة الادب والعلم ، فاجتمع في بلاطه من العلماء والادباء والشعراء من لم يجتمع مثلهم الا ببلاط هارون الرشيد في بغداد .



وعاشت الدولة الحمدانية في حلب نحو سبعين عاماً

( ٣٧ — ٩٤٤٤٣٩٤ — ١٠٠٣ ) .

الدولة الفاطمية تقطع سوريه - ينتمي الفاطميون الى فاطمة الزهراء .



( شكل ٤٦ )

نقوش من العصر الحمداني

ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج عليّ كرم الله وجهه . ظهرت دولتهم في شمالي افريقية العربي ، ثم أتوا الى مصر وفتحوها ، وبنوا القاهرة

ثم شيّدوا فيها الجامع الأزهر « ٣٥٤ ٩٦٥ هـ م » أقدم جامعة علمية دينية  
في العالم كله ، وأعظم جامعة إسلامية اليوم .



وأخذ الفاطميون سورية

من الحمدانيين وظلوا فيها إلى أواخر

الحروب الصليبية . وفي هذا

العهد ، نشأ المذهب الدرزي ،

وانتشر في سورية . ثم اعتصم

أصحابه في جبالهم إلى اليوم . ( شكل ٦٥ ) ناء من عصر الفاطميين

واشتهر الدرّوز ( الذين سندعوهم منذ الآن « بيني معروف » )

في تاريخ سورية الحديث شهرة ذائعة .

فساد الرّبّه الاجتماعيّه — ان فساد الاحوال السياسية ،

وضعف الحكومات المتوالية على سورية ، وذهاب قوة الخلافة

كل هذه ادت الى فساد الاحوال الاجتماعية .

فسا الجهل بين العامة فكثرت انقيادهم لمتزعمين جهلاء

مثلهم ؛ وكان اكثر هؤلاء المتزعمين ( جماعة يريدون ان

يعيشوا ) على حد تعبيرنا اليوم ؛ فكانوا يتظاهرون بالدين

والتقوى والعلم والفضل ؛ وهم خلوا من هذه كلها .



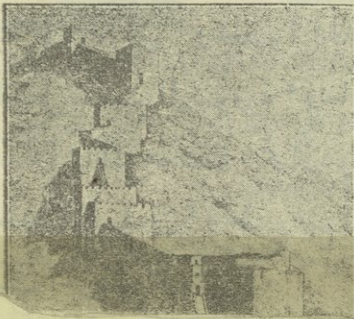
وتكالب الناس في هذا العصر — عصر الشاعر  
الفيلسوف ابي العلاء المعري — على جمع المال من كل وجه  
— «سُنَّ او سَاء» — فنرى المعري يقول : « اني سئمت من  
العيش بين اهل زمني ، لان الامراء يأمرؤن بغير ما يفيد  
الناس . لقد ظلموا الشعب ، مع ان الشعب استأجرهم  
ليخدموه » .

السلامة — السلاجقة قبائل تركية نزحت من اواسط  
آسية الى العراق ، وخلصوا الخلافة من استبداد البويهيين .  
ثم انتقل بعضهم الى سورية ، وحاربوا الروم في آسية الصغرى ،  
وأشأوا بمالك مستقلة . ثم نازعوا الدولة الفاطمية ؛ فزاد ذلك  
في ضعف المسلمين ، واطمع بهم الافرنج . وفي عصر السلاجقة  
نشبت الحروب الصليبية .

## ٢٣ - الحروب الصليبية

الدور الاول . الأفرنج في سورية

أفزع حرب في التاريخ - كانت الحروب الصليبية -  
باسبابها ومعاركها ونتائجها على الشرق - أفزع حرب في  
التاريخ ، واشنع لطخة في مدينة العصور الوسطى . فقد جاء  
الأوروبيون الى سورية ، واقاموا فيها المذابح ، واتوا فيها



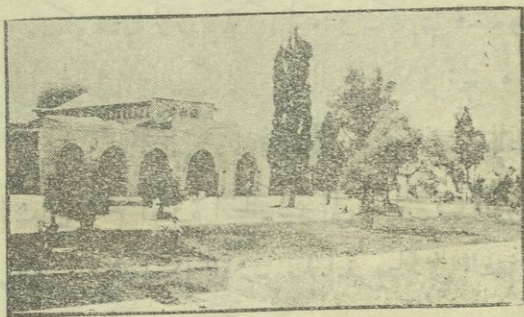
الفضائع ، حتى ان المؤرخين  
الأوروبيين انفسهم  
ليخجلون مما صنعوه  
اسلافهم في بلادنا .

موجات الصليبيين



أينما حلوا ، حتى وقفوا على أسوار القدس أكثر من شهر . ثم  
فتحوها صلحاً بعد أن أمنوا سكانها وأمنوا الحامية الفاطمية  
التي كانت تقوم على حراستها .

لكنهم ما كادوا يدخلون القدس حتى عملوا السيف في  
أهلها ، فقتلوا نحو سبعين ألف نسمة في الحرم الشريف . وكان  
فارسهم ينجس في الدم إلى ركة حصانه . واقتحموا كنائس  
اليهود يقتلون اللاجئين إليها . وفتكوا بالشيوخ والنساء  
وبالأطفال ، لم يبق منهم بقية من دين ولا عاطفة إنسانية .



( شكل ٤٩ ) باحة المسجد الأقصى ( في الحرم الشريف )

ولم يقتصر حنق المسلمين على البشر ، بل تعداهم إلى  
العلم فأحرقوا المكاتب ، وفيها الوف من الكتب المخطوطة  
القيمة . وسترى بعد قليل كيف كانوا يهاجمون القوافل في

ايام الهدنة والمعاهدات ، ويسلبون التجار اموالهم واشياءهم  
ثم يولون الادبار .

قضى الافرنج — وذلك اسم آخر للصليبيين — ربع  
قرن يتدفقون في اثنائه على سورية ، ولكنهم لم يستطيعوا  
ان يحتلوا إلا الساحل السوري ، وبعض البلدان الداخلية ،  
وظلت دمشق ، قلب سورية ، سالمة من فظائهم .

المملكة اللاتينية — أطلق الصليبيون على البلدان التي  
حكموها في سورية « المملكة اللاتينية » اذ كانت لفتحها  
ومذهبها وحكومتها لاتينية كلها . ولكنهم قسموا هذه  
المملكة الى مقاطعات حكمها الملوك الافرنج والاشراف  
والامراء على نحو عاداتهم في اوروبة . وهذه المقاطعات هي  
الرها في الشمال ، ثم امارة انطاكية الى الجنوب الغربي منها ،  
قامارة طرابلس ، فمملكة القدس . ( الخريطة في الصفحة ٨٥ ) .

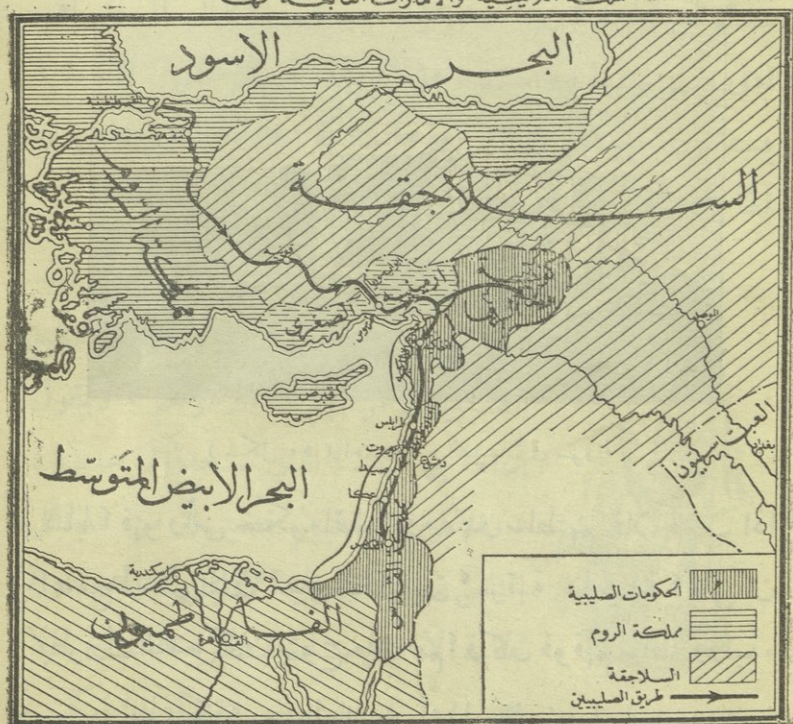




## ٢٤ - حياة الصليبيين في سورية

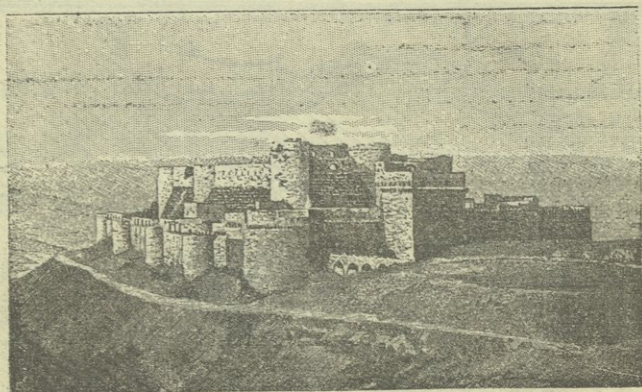
نزل الصليبيون في سورية بعد ائتهم وانظمتهم ، فأمست  
البلدان التي نزلوها كأنها قطعة من اوردية في العصور الوسطى .

### الجملة الصليبية الأولى الملكسة اللاتينية والامارات الثابتة لها



ولقد عاش الصليبيون في سورية عيشة عسكرية دينية -  
ان سيطرة البابا على الصليبيين جعلت حملاتهم ( كما يدل اسمها  
عليها ) دينية ؛ وان المعارك التي اتصت بينهم وبين السوريين  
مائتي عام ، جعلت حياتهم عسكرية .

رجال الدين — كان الأثر الاول في حياة الصليبيين



( شكل ٥٠ ) احدى قلاع الصليبيين في سورية

للبابا ؛ فهو رأس حكوماتهم ، ومصدر سلطتهم فلا عجب اذا  
اصبح لرجال الدين ، بين الصليبيين ، مرتبة سامية ؛ حتى ان  
بطريرك القدس كان يتوج ملوكهم ؛ وكان فوقهم سلطة ورتبة .  
ولم يكتف رجال الدين بأعمالهم المدنية ، بل ضموا اليها



اعمالاً دنيوية من الحرب والسياسة ، ونشأ فيهم فرق أهمها فرقة  
الداويتين او الهيكليين ، الذين انتسبوا الى هيكل اورشليم  
« واقسموا ان يدافعوا عن المملكة اللاتينية حتى الموت » .  
الاشراف — كان الملك بين الصليبيين استبدادياً ، ولم  
يحفل الملك دائماً بان يدير اعماله بنفسه ؛ بل عهد بها الى اشراف  
مستولين تجاهه ؛ وربما عهد هؤلاء بهذه الاعمال الى اشراف  
ادنى منهم مرتبة . واستعبد هؤلاء بدورهم الاقنان ( العبيد )  
يستغلون جهودهم في الزراعة والجنديية ؛ فتم بذلك في سورية  
نظام اقطاعي على نحو ما كان في اوروبة او اشد .

الفرسان — الفرسان عماد الحروب

واصحاب القتال فلا عجب اذا رفع  
الصليبيون مرتبهم واحترموهم . ويقول  
أسامة بن منقذ ، الذي سنجدثك عنه :  
« والافرنج ما فيهم فضيلة من فضائل  
الناس سوى الشجاعة ، وليس عندهم منزلة  
عالية الا للفرسان ؛ ولا عندهم ناس الا  
(شكل ٥١) فارس صليبي . فهم اصحاب القضاء والحكم .



فاذا عقدوا حكما لم يستطع الملك ولا احد غيره ان يغيره او ينقضه . واحسن الفرسان في نظر الافرنج من كان طويلاً دقيقاً .

العامة — جرت الحروب الصليبية معها الى الشرق مهاجرين من انحاء اوروبة ، سكنوا المدن السورية واختلطوا بأهلها . وكان اكثر هؤلاء من البرجاسيين ( اي التجار الذين لا يقاتلون ولا يحضرون القتال ) — والكلمة افرنجية معربة — وقد اقام البرجاسيون محاكمهم الخاصة ومؤسساتهم ، وكانوا يترددون بتجارتهم بين السوريين والصليبيين على السواء .

وهناك طبقة اخرى كانت تنتفع من الحروب الصليبية : اولئك تجار المدن الاوروبية — الايطالية خاصة — الذين اسسوا مستعمرات تجارية على الساحل السوري ، وكانوا ينقلون الصليبيين برا كبهم بين سورية واوروبة . من اجل ذلك منحهم الصليبيون امتيازات كثيرة : منها السكنى في احياء خاصة من المدن السورية ، ومنها انشاء محاكم تجارية مستقلة .

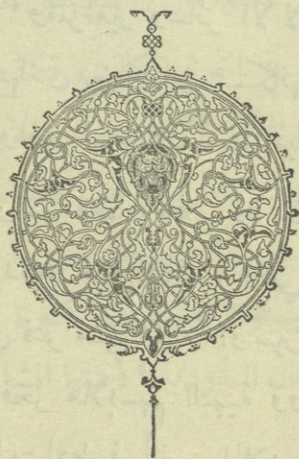
يأتي الجندي الصليبي الى سورية يحمل لاهلها عدا



جميتاً وغيظاً شديداً ؛ فاذا تبدل — سكن البلد — وعاشر  
السوريين تبدلت عاداته ودمشت اخلاقه . وقد روى لنا  
التاريخ ان بعض الصليبيين اصبحوا اصدقاء للسوريين يتزبون  
هم ونسأؤهم بزيتهم . ومنهم من كان يترك الخنزير ، ويجعل بيته  
نظيفاً ، كما يقول أسامة بن منقذ عن رجل افرنجي في انطاكية .

عرس افرنجي في صور — واسمع الآن السائح الاندلسي  
ابن جبير يصف عرساً افرنجياً في صور ؛ قال : « احتفل جميع  
الافرنج رجالا ونساء ، واصطفوا صفين عند باب العروس  
والبوقات تضرب ، والمزامير وسائر الآلات الموسيقية . ثم  
خرجت العروس تتهادى بين رجلين يسكانها من يمين وشمال ؛  
وهي في ابهى زى وافخر لباس ، تسحب اذيال الحرير المذهب .  
وكان على رأسها عصابة ذهب قد حُفَّت بشبكة ذهب  
منسوجة . وعلى صدرها مثل ذلك . وهي رافلة في حُلِيها  
وحلها تمشي فترأ في فتر مشي الحمامة او سير الغمامة . وامامها  
كبار رجالها في افخر ملابسهم البهية ووراها من النساء  
اكفاؤها ونظراؤها يتهادين في أنفس الملابس ، ويرفلن في اثمن  
الحلي . وقد وقف كثير من المسلمين والناصرى صفين يتطلعون

ويتفرجون . وسار القوم بالعروس على هذا الشكل حتى  
ادخلوها دار بعلمها ، واقاموا يومهم في وليمة وسرور .  
ومن ذلك ترى أن الصليبيين قلدوا العرب السوريين  
في العادات والازياء والاحتفالات كما أنهم اقتبسوا منهم طراز  
الابنية كلقصور والقلاع ، وتعلموا كثيراً من الصناعات  
كصناعة الصابون والسكر والزجاج والاسلحة ، واخذوا  
زراعة الاشجار المثمرة ، وبناء السفن التجارية والحربية .





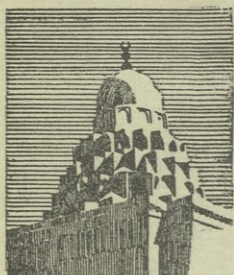
الدور الثاني

٢٥ — يقظة المسلمين وانهزام الافرنج

اطبقت جحافل الافرنج على سورية فجأة؛ وظلت تتدفق كالسيل الجارف على بلاد أضعفتها المنازعات الداخلية، فاستطاعوا تأسيس ممالكهم التي عرفت خبرها مमार؛ والتي لم تعش قوية أكثر من اربعين عاماً فقط.

ثم ان المسلمين ما لبثوا أن تنهبوا، وجمعوا شملهم لمقاومة الصليبيين بقيادة آل زنكي: امراء الموصل ودمشق. لقد استطاع عماد الدين زنكي ان يُخرج الصليبيين من الرها، وقرر ابنه نور الدين أن يدفع الصليبيين عن دمشق؛ وان يجبط اعمالهم في كل مكان.

صلاح الدين — توفي نور الدين ( ٥٦٩ هـ، ١١٧٤ م )  
فأصبحت الكلمة العليا لثأبه في مصر — صلاح الدين الايوبي —  
الذي هزم الصليبيين في مصر، واتى الآن ليضربهم الضربة القاضية في سورية.



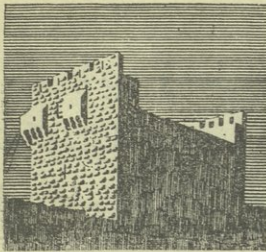
من مطين الى القدس — كثر  
الإخلاف الصليبيين لوعودهم ؛ وزاد  
اعتداؤهم على قوافل الحجاج فسار  
صلاح الدين ليلتقي اعداءه في حطين  
— قرب مدينة طبرية — ولم

يضع صلاح الدين وقتاً في الانتظار ؛ بل (شكل ٥٣ قبة المدرسة النورية)  
قطع الماء عن الجيش الصليبي ، واشعل النار في مهب الريح ،  
فأخذ الدخان يتجه الى صفوف الافرنج ويعمي ابصارهم . وكان  
حرقوز والعطش يساعدان الدخان على اضطراب جيش الفرنجة  
ثم هجم صلاح الدين على رأس جيشه واعملوا جميعهم السيوف  
في الاعداء ، وقطموا الذين لا يفون بالوعد تقطيعاً ( ٥٨٣ هـ ،  
١١٧٨ م ) .

ومن حطين سار المسلمون الى القدس ، وبعد حصار  
ثمانية ايام فتحوها صلحاً ، وكان صلاح الدين وجيشه مثال  
الشهامة العربية ، فلم ينقضوا عهداً ولم يخفروا ذمة ؛ بل سمحوا  
للصليبيين بالخروج من المدينة آمين . ثم انهم كانوا يقدمون  
للفقراء والعاجزين مالا ودوابً ينتقلون بها الى حيث يشاءون .



واستفاد صلاح الدين من انتصاراته فتابع الفتوح حتى لم يبق  
في ايدي الصليبيين الا انطاكية التي احتلوها مرة اخرى  
وصور وطرابلس .



ثم توفي في دمشق ( ٥٨٩ هـ  
١١٩٣ م ) وهو قدير العين لان  
الاراضي المقدسة قد نجت من قبضة  
الافرنج أو كادت .

( شكل ٥٦ ) برج في قلعة دمشق  
( عن سوفاجه )



نقوش ازهار متشابكة في مدرسة فروخ شاه بدمشق  
( عن سوفاجه )

## ٢٦ - حياة السوريين في الحروب الصليبية

لم يبق في هذا العصر أثر ما للخلافة العباسية في سورية. لقد كاد الناس ينسون ان هنالك خليفة في بغداد؛ ولولا ان أئمة المساجد كانوا يخطبون في ايام الجمع والعيدين : عيد الفطر وعيد الاضحى ، باسمه لما ذكره السوريون قط . غير ان الله تعالى قيض لسورية امراء يدافعون عنها ، وغرس حبهما في قلب كل سوري فكان يبذل كل ما لديه من قوة ليرد عنها الخطر الصليبي .

كانت المدن في ذلك الحين مسورة ، ذات قلاع وحصون . وكان الناس على استعداد دائم للقتال ، يذهبون اليه كما يذهب آباؤنا واعمامنا واخوتنا اليوم إلى أعمالهم في الأسواق . وسأقص عليك الآن قصة الامير أسامة بن مُنقذ لثرى الشجاعة والشهامة المتمثلتين في هذا الامير .

نشأ أسامة لاولى - نشأ الامير اسامة في بلدة حميرز قرب حماه ، وكانت اسرته عريقه في النسب والحسب



خربته تربية دينية فشب تقياً، كريم الاخلاق، حسن التأديب؛  
وقد بلغ من تشدد قومه في تربية ابنائهم انهم قتلوا شاباً كان  
يقلد إمضاء الناس .



واتصف أسامة واهله  
بالقوة والشجاعة ، حتى ان  
امه كانت تحارب الافرنج  
الصليبيين في بعض الاحيان .  
اسامة في الحرب — كان  
أسامة — كجميع امراء  
المسلمين — يقضي حياته في  
حرب الافرنج ؛ ومع انه

عاش كثيراً فانه لم يقع اسيراً (شكل ٥٩) فلعة شيزر مقر اسرة اسامة  
الامرة واحدة . وكثيراً ما كان يذهب مع بعض رجاله  
ويغير على الحاميات الصليبية فيكثر فيها القتل ، او يقف معهم  
على جسر نهر العاصي قرب حصن شيزر ويرد الافرنج عن بلده  
واهله ، بعد ان يكبدهم خسائر كثيرة ؛ حتى ان الافرنج  
انفسهم كانوا يحترمونهم ، ويخافون ان ينازلوه في المعارك .

ويتأفف أسامة من شيء واحد : هو ان الصليبيين لم يكونوا يحافظون على وعودهم ، بل كانوا يهاجمون قوافل التجار والحجاج في ايام السلم ايضاً ؛ وقد هاجموا مرة وسلبوا امواله ومتاعه واربعة آلاف كتاب مجلد كان يحملها معه . لكنه استطاع بشجاعته ان ينجو هو والذين معه من الاسر .

اسامة في الصيد — اذا عقد المسلمون « هدنة » مع

الصليبيين قضوا ايام السلم في الصيد طلباً للنزهة والرياضة .



( شكل ٥٥ ) بازيار

وكانت « غية » اسامة صيد الوحوش كالاسود والنمور والشعالب او صيد الارانب والطيور . وقد بدأ اسامة الصيد وهو صغير جداً ، وقتل اسداً عجز عن صيده الفرسان الكبار ؛ فلما عاد مساء الى

البيت وبخته جدته ونصحته بان لا يغرر بنفسه مرة اخرى .

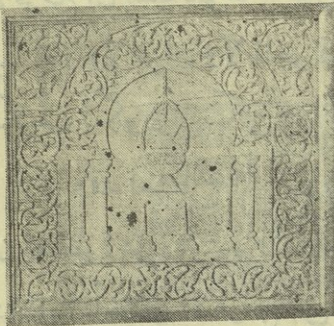
تعود اسامة الصيد بالبزة والصقور فكان « غلانه »



— أي الذين يخدمونه ويتصيدون له — يرسلون الباز على الغزال  
مثلاً فيحط على رأسه، ولا يزال يضرب عينيه حتى يعميهما  
فيدركه الصيادون حينئذ ويأخذونه . وقد يرسلونه على  
الحجل ودجاج الماء فيأتي بها .

وتعالى الناس في اقتناء البزاة فارتفع ثمن «فرخ الباز»  
إلى خمسة عشر ديناراً ذهباً . ومما يدل على غنى أسرة أسامة  
قوله : ان البزاة كانت في بيوتهم مثل الدجاج .

سطح المدره — كانت المدن في أثناء الحروب الصليبية



قسمين : قسماً احتله الافرنج :  
كانطاكية وبيروت وصور  
وعكا والقدس وغيرها من  
مدن الساحل ؛ وقسماً ظل ابدأ  
بيد المسلمين كحلب ودمشق  
وغیرها من المدن الداخلية .  
لكن مدن الساحل لم تظل

( شكل ٥٦ ) محراب ابوي  
( عن بيجون )

دائماً في ايدي الافرنسيج ؛ بل كان الافرنج يحتلونها مرة ،  
والمسلمون يسترجعونها مرة . وهكذا دواليك مدة قرنين  
كاملين .

لم يشأ بعض المسلمين ان يسكنوا البلدان التي احتلها  
الافرنج ، بل نرحوا عنها الى البلدان التي ظلت في ايدي  
مواطنيهم ؛ ولكن بعضهم بقوا في المدن المحتلة ، لان الصليبيين  
احتاجوا اليهم فعاملوهم معاملة حسنة .

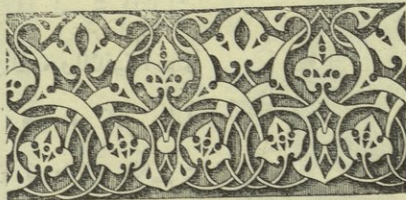
كان المسلمون هم الصناع والتجار والزراع واصحاب  
الاعمال ؛ فلو هجروا عكا ، او صور او القدس لما استطاع  
الافرنج ان يسكنوها . تخيل البلدة التي انت فيها اليوم ليس  
فيها نجار ولا فران ولا تاجر نسيج ، ولا بائع سمن ولا حداد ؛  
فكيف تكون السكنى فيها ؟

وقد استطاع المسلمون الذين عاشوا في المدن المحتلة  
ان يحافظوا على حميتهم وآدابهم وعاداتهم وحبهم لبلادهم ؛ ولم  
يتخلقوا بأخلاق الافرنج التي لا توافقهم . اما التجار الذين  
كانوا يترددون بتجارتهم بين المدن المحتلة والمدن الاسلامية  
على السواء ، فقد ربحوا ارباحاً طائلة .



النصارى السوربونيه — تزوج بعض الافرنج مسيحيات  
سوريات ، وتزوج بعض المسيحيين افرنجيات ؛ ولا نزال حتى  
اليوم نرى آثار هذا الزواج ظاهرأ في بعض بياض اللون  
وشقرة الشعر وزرقة العيون . واقام بعض الصليبيين في سورية  
واسسوا أسراً وبيوتاً حتى اصبحوا كالسوريين انفسهم .

اليهود نجار — حاول اليهود ان يستفيدوا من الحروب  
الصليبية اكبر قدر مستطاع ، فاكادوا ينسون ظلم الصليبيين  
يوم فتح القدس حتى انقلبوا تجاراً يقدمون للافرنج القروض  
« يدينونهم مالا » والسلاح ؛ وتألفهم الصليبيون فعاشوا  
عيشة هنا . كلها ربح وأمن .



( شكل ٥٧ ) نقوش من المدرسة (شامية التي بنتها ست الشام

اخت صلاح الدين (١١٨٦م ٥٨٢هـ)

(عن سوفاجه)

الدور الثالث

## ٢٧ - المماليك يطردون الصليبيين

علمت في العام الماضي ان المماليك جماعة من الناس كان الاغنياء والامراء يشترونهم بالمال للخدمة في البيوت او لجمعهم جنوداً في الجيش . وعلمت ايضاً انهم لما كثروا في مصر واشتد ساعدتهم وثبوا على الحكام واخذوا البلاد منهم . وكان هؤلاء المماليك يُرَبَّونَ عند اسيادهم تربية اسلامية قرمية ، فدفعتهم حميتهم وعزة نفوسهم - وإن كانوا عبيداً بمماليك - الى مقاومة الصليبيين ، والقضاء عليهم مرة واحدة .



( شكل ٥٨ ) احد المماليك

### دوتنا المماليك - المماليك

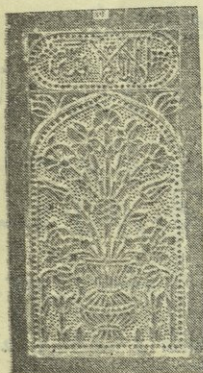
اسرتان اولاهما اسرة المماليك البحرية وهم اترك ، والثانية اسرة المماليك البرجية وهم جر كس . اما حديثنا الآن فيتناول الاسرة التركية التي طردت الصليبيين من سورية .

انظاھر یررس - كان الظاهر یررس البندقداري اول



سلاطين دولة المماليك البحرية الذين تبوأوا عرش مصر مدة قرن . فما كاد يثبت مركزه في مصر ، حتى وجه همهته الى طرد الصليبيين من سورية ، لانهم حرروا غضبه مرات عديدة بنقض عهودهم . فتقدم الى فلسطين واستطاع ( ٦٦٤ هـ ١٢٦٥ م ) ان يفتتح قيسارية — بلدة جنوبي حيفا — بعد حصار خمسة ايام ، وان يهدم أسوارها .

وفي العام الثاني انجد بيبرس انطاكية ليدفع عنها الصليبيين . ولم يفتأ ينتقل من مكان الى مكان ، ويهزم الصليبيين حتى احتل صفد ، وفتح قلعة صافيتا وحصن الاكراد — وهما في شمالي طرابلس — ، واستولى على قلعة الشقيف في الشوف من لبنان . وفي ٦٧٦ هـ ( ١٢٧٧ م ) توفي بيبرس في إبان مجده راضي النفس ، لانه خدم وطنه وبلاده .



افراج الصليبين من سورية — بعد وفاة الظاهر بيبرس استطاع السلطان قلاوون ان يغتصب الملك من ابنة القاصر — وكان وصياً عليه — ثم نازل قلاوون الصليبيين ، نافذة من زجاج ملون ( شكل ٥٩ )

واستولى على جميع البلدان التي كانت باقية في ايديهم الى ذلك الحين ، ما عدا عكا .

وجاء ابنه السلطان خليل فجمع كلمة الامراء المسلمين ، واستعد استعدادا عظيماً ثم سار الى عكا — آخر حصون الصليبيين واقواها — ؛ وبعد حصار ثلاثة واربعين يوماً سقطت المدينة في يده . وهكذا نجت سورية من فظائع الصليبيين وساد السلام ( ٦٩٢ هـ — ١٠٩١ م ) على الساحل السوري بعد ان شهد القتال مائتي عام ، واصبحت اكثر بلدانه خراباً ، وأكثر اراضيها الزراعية مهمله .

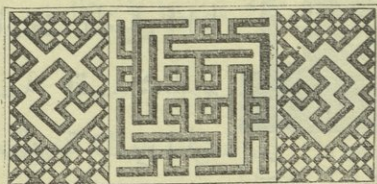
أما الممالك الجربية — ترك المماليك وراهم آثارا جليلة ، فأينما سرت في مدن سورية ترى المدارس والمكاتب والمساجد والحصون التي رمها المماليك وزينوها ، والتي بنوها ؛ ولا يزال بعضها الى اليوم يحمل اسماءهم كالمدارس الظاهرية في حلب وحمص ودمشق — نسبة الى الظاهر بيبرس — . وعبد الظاهر الطرق ايضاً وأصلح الأبنية لتحسين الزراعة ؛ ونظم البريد لنقل الاخبار بسرعة .

وقد اهتم قلاوون بتشجيع التجارة ، وعقد المعاهدات



مع حكومات اوروبة ، فازدهرت التجارة في ايامه و كثر  
الاموال . واشتهر قلاوون بالاعمال الخيرية ؛ فإنه بنى مستشفيات  
للفقراء والاغنياء على السواء وجعل بعضها خاصاً بالنساء ؛  
وانشأ ماجاً للايتام . ثم شيد المدارس للاطفال والصبيان ،  
وبنى مكاتب للجُمهور وملاًها بالكتب الكثيرة القيمة .

و كثر في ايام المماليك البحرية فتح الطرق ، وبناء الجسور  
على الأنهار ، وتحصين البلاد والشغور ، وتشيد القلاع والحصون ،  
ويكفيهم فخراً انهم خلصوا سورية من الجيوش الصليبية وحوها  
من غارات المغول المتوحشين ، وجعلوا الامن يستتب فيها مدة  
حكمهم ٦٥٩ — ٥٧٨٤ ( ١٢٦٠ — ١٣٨٢ م ) .



نقوش من المدرسة الركنية ( ركن الدين )

في عصر المماليك عام ١٢٢٤ م ٦٢١ هـ

( عن سوفاجه )

٢٨ - سورية في عهد المماليك

البرجية الجراكسة

المماليك البرجية والفوضى - كان حكم المماليك

البرجية ( ٧٨٤ - ٩١٣ هـ ١٣٨٢ م )

- ( ١٥١٧ م ) اطول من حكم

المماليك البحرية . ولكن عهدهم

كان مملوآ بالفوضى والمنازعات ،

ولم يقدموا لسورية خدمة

يذكرون بها .

لقد رأينا المماليك البحرية

يطردون الصليبيين من سورية ،

ويردون عنها غارات المغول ؛ اما

المماليك البرجية فقد شغلتهم

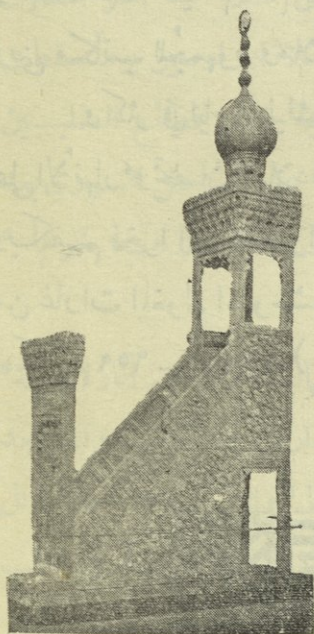
منازعاتهم عن مقاومة تيمورلنك

( شكل ٦٠ ) منبر من عصر المماليك

( عن ميجون )

( اي تيمور الاعرج ) المغولي البركس

الذي هاجم سورية ( ٨٠٣ هـ ١٤٠١ م )





اجتاح تيمورلنك سورية اجتياحاً فظيماً ، فسبي ونهب وقتل ، وكان حظ دمشق منه اسوأ الحظوظ فقد اسر من اهلها الشبان من العمال والصناع : كالحداين والنجارين والمهندسين والبنائين وصناع القيشاني ( فخار ملون مع زخارف عليه ) ، وحملهم الى عاصمته سمرقند ( في شرقي آسية الشمالي ) . ثم اعمل النار في المدينة فاحترقت بيوتها ومساجدها ومدارسها واسواقها ، ولم يبق من الجامع الاموي الا جدران قائمة لا سقف عليها ، ولا رخام في ارضها ولا سيفساء تزينها .

الحركة العلمية — احب الناس العلم فانصرفوا في هذا العصر الى التأليف . ولكن تأليفهم كانت اختصاراً للكتب القديمة ، او شروحاً عليها . وربما قرأ احدهم كتباً قديمة كثيرة . ثم جمع منها مختارات ، ففهمها في تأليف ووضع اسمه عليها .

غير ان هؤلاء المؤلفين افادونا كثيراً لان المعلومات كانت متفرقة في الكتب القديمة فجمعوها ورتبوها في كتبهم . وجعلوا كثيراً منها مرتباً على حروف المعجم ( اي

كما يرتب القاموس) ؛ فاصبح بإمكاننا ان نراجع الامور التي  
زيدها بوقت قصير . فاذا احببنا ان نعرف شيئاً عن بيروت  
مثلاً بجثنا في « حرف الباء » ، او شيئاً عن دمشق بجثنا في  
« حرف الدال » .



قطعة قيشاني من عصر المايك الجركس  
( عن سوفاجه )

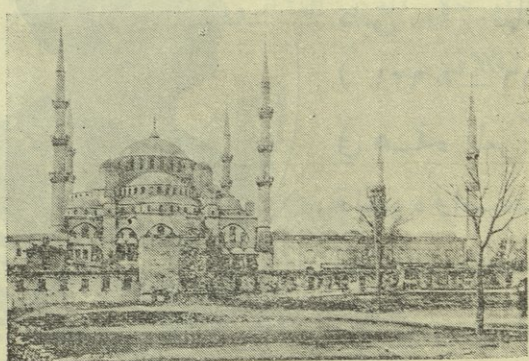


القسم الثالث : سوريته في العصور الحديثة

٢٩- منذ الفتح العثماني ( ١٥١٦م - ١٩٢١هـ )

الى العصر الحاضر

ظهور العثمانيين في التاريخ - لقد علمت من الجزء الاول ان العثمانيين اترك كالمساجريين ، وانهم جاءوا من اراضي آسية في اواخر الحروب الصليبية .



( شكل ٦١ ) جامع السلطان احمد في استنبول وهو نموذج للطراز العثماني

كان اول سلطان على الاتراك العثمانيين « عثمان بن ارطغرل » واليه نسبت الاسرة المالكة ، واقدر عثمان هذا ان ينشيء في غربي آسية

«الصغرى» مملكة قونية؛ واستطاع احد احفاده محمد الثاني ان يفتح  
القسطنطينية عام ١٤٥٣م / ٨٥٧هـ وان يقضي على الامبراطورية  
البيزنطية المتضعضعة . ومنذ ذلك الحين عرف بأقرب «محمد الفاتح» .  
ولقد كان لسقوط القسطنطينية في ايدي العثمانيين اهمية عظيمة ، حتى ان  
المؤرخين اعتبروا ذلك نهاية للعصر الوسطى وبداية للعصر الحديث .

صعركه مرج دابق — ظلت سورية تابعة للمماليك البرجيين

في مصر حتى جاء السلطان

العثماني سليم الاول وحارب

قانسوه الغوري في مرج

دابق ، شمالي حلب

( ٩٢١هـ — ١٥١٦م ) .

في هذه المعركة قتل

قانسوه واصبحت سورية

بعد ذلك مقاطعة عثمانية .

ولا ريب في ان عهد

المماليك البرجيين كان في



( شكل ٦٢ ) السلطان سليم الاول

سورية عهد شدة وظلم وارهق بالضرائب ، فلا عجب اذا

مال الاهالي الى الفاتح الجديد توهماً منهم انه اصلىح من السابق .



العثمانيون والخلافة — تابع سليم الاول سيره الى مصر  
فلم يجد صعوبة البتة في استنقاذ مصر من ايدي المماليك . ثم لما  
رجع عنها حمل معه عدداً كبيراً من الاعيان وابناء السلاطين ،  
ومن الفقهاء والصناع واصطاحب « المتوكل » آخر خليفة  
عباسي ، وكان هذا قد لجأ الى مصر بعد ان خرب هولاء ( ٦٥٦ هـ  
١٢٥٨ م ) بغداد . ومن ذلك الحين زال اسم العباسيين من تاريخ  
الابرطورية الاسلامية ، وحل محله اسم العثمانيين . ولم يرض  
وقت طويل حتى تلقب العثمانيون بلقب « امير المؤمنين » ،  
وادعوا الخلافة .

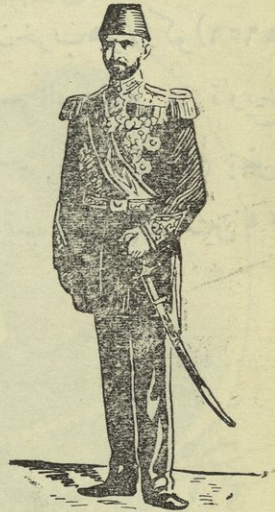


## ٣٠ - سورية مقاطعتا عشانيتا

- عصر البشوات -

اقام السلطان سليم في سورية ومصر - بعد ان فتحهما -

نحو عام ، فلم يتسع وقته لتنظيمها  
تنظيماً تاماً ، بل اكتفى بان  
يتركها على ما كانتا عليه من قبل  
وان يبيقيهما تحت ادارة حكامها  
الاولين من المماليك ؛ ولكنه رأى  
حاجب وما حولها قريباً من الحدود  
التركية فمهد بحكمها الى « باشا »  
حاكم تركي .



وكان في جيش قانصوه

( شكل ٦٣ ) احد بشوات سورية الغوري رجال مالوا الى السلطان

سليم وساعده على فتح هذه البلاد فلما تم فتحها جعلهم حكاما  
فيها . وكان من هؤلاء رجل اسمه « العزالي » تولى حكم  
مهورية - ما عدا حلب - واخلص للسلطان سليم . ولكن



لما توفي السلطان سليم بدا للغزالي ان يستبد بحكم سورية وان « يعلن عصيانه على الدولة » ، ولكن جيش السلطان سليمان ابن السلطان سليم التقاه في معركة قرب دمشق وقتله (١٥٢١٨٩٢٨ م) قد كلفت هذه الحركه سورية عموما والمماليك خصوصاً ثمناً غالياً ، لان العثمانيين لم يأمنوا فيما بعد الاحكام منهم ، ففتحو عصر البشوات الذي امتلأ اكثره بالاضطرابات السياسية والارهاق المالي .

مقاطعات سورية — في القرن الحادي عشر للهجرة  
( السابع عشر للميلاد ) كان في سورية اربعة مقاطعات ادارية يسمى كل منها « بَشَالِق » — لانها تحت حكم باشا — بشالق دمشق الذي يضم جميع البلدان الواقعة غربي دمشق الى ساحل البحر ، والواقعة شرقيها الى تدمر ، والتي جنوبها حتى غزة في اقصى الجنوب . ثم بشالق طرابلس وفيه القسم الاكبر من وادي العاصي — حول حمص وحماه — والشاطيء الممتد الى جبيهه شمالا . اما المقاطعة الثالثة فبشالق حلب الذي يضم البلدان القريبة من حدود آسية الصغرى . وكان هنالك ايضاً بشالق صيدا الذي فصل عن بشالق دمشق والحق به جبل لبنان

وكان هذا تحت حكم أسر اقطاعية تقدم الميرة الى جيش  
الاحتلال والمال الى خزانة الدولة .

سينات حكم البشوات — سيئات حكم البشوات  
ثلاث : اولها ان الباشا كان تركيا غريباً عن البلاد ، وثانيها  
انه بعيد عن مراقبة الدولة ، يفعل ما يشاء من غير ان يعرف



( شكل ٦٤ ) الجنود الانكشارية ، هم القداماء في الجيش العثماني

السلطان ماذا يعمل ، وثالثها انه يشتري مر كزه من رئيس  
الوزراء بالمال . فان الرجل يذهب الى استانبول — عاصمة  
الدولة العثمانية — ويطلب توليته على بشالق او في احدى



مركز هذا البشالق، ثم يدفع المبلغ المطلوب منه مقابل ذلك.  
فلنفرض ان الدفتر دار « حامل الدفتر = امين الصندوق » يدفع  
خمسين الف ليرة ذهبية ثمن مركزه في بشالق دمشق، فياذا  
تراه يفعل اذا جاء الى مركزه؟ انه في الدرجة الاولى يسعى  
الى جمع الاموال التي دفعها في استانبول، وان يجمع فوقها  
ربحاً له.

وبما ان مدة « التلزم » هي عام واحد فان « المأمور »  
لم يكن يفكر في تنظيم احوال البلاد او في نفعها، بل يقضي  
مدة « توظيفه » في جمع المال من الشعب. ثم يحمل ما جمع ويذهب  
في نهاية مدته الى استانبول ليحدد مدته، او يشتري مركزاً  
آخر في بشالق جديد.

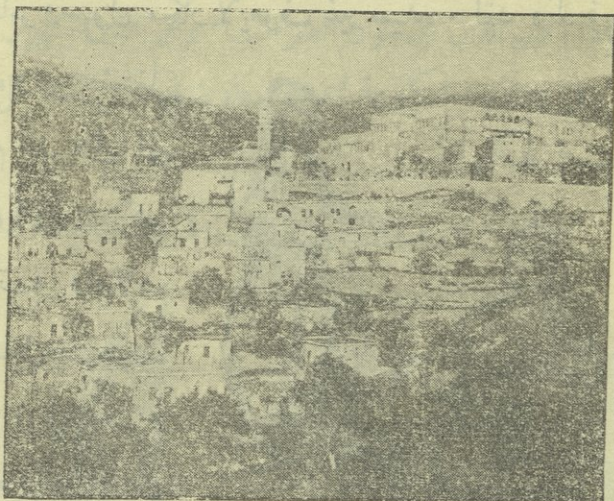
### ٣١ - اصحاب النفوذ في عصر البشوات

العناصر العربية - نزل في سورية ولبنان - منذ  
الفتح الاسلامي - كثير من العرب ، كان اشهرهم بنو معن  
الذين بدأوا يبرزون في السياسة المحلية منذ مطلع القرن العاشر  
للهجرة (والسادس عشر للميلاد) . كان هؤلاء في اول امرهم  
يحافظون على ولائهم للعثمانيين ، ولكنهم يطمحون الى حكم  
بلادهم بانفسهم مكان الباشا الذي ترسله استانبول الى سورية .  
الاسر العربية - وكان في سورية ولبنان - منذ العهد  
الذي نتكلم عنه - اسر عريقة في النسب ترجع الى اصول  
مختلفة ، وهي لا تزال معروفة لدينا كل المعرفة او بعضها كآل  
شهاب العرب وآل جنبلاط الاكراد وآل ارسلان ، وآل العظام  
في دمشق ، وآل الخازن في شمال لبنان .

سعت هذه الاسر كلها الى الساطة ، والى ان تثبت  
حكمها في البلاد التي تسكنها ، ومع انها ارادت نفع نفسها في  
الدرجة الاولى فانها نفخت في السوربين اجمع روح الامتقلال



وحبيبت اليهم الحرية . ثم ان هذه الأسر خدمت السوريين  
واللبنانيين في العلوم والآداب والعمران ، فخلفت لنا القصور



( شكل ٦٤ ) حاصبيا - في وادي التيم - وهي مدينة الشهابيين  
( انظر الى اليمين قصرهم القديم )

العظيمة والنقوش الجميلة . ولكنها جرت على سورية شيئاً من  
الاستبداد السياسي ومن الحزبية المحلية التي لانزال نرى آثارها  
ظاهرة حتى اليوم .

المساجد والبكوات - وهؤلاء المشايخ والبكوات كانوا  
يحاولون قطع الهلة بين العثمانيين وبين الشعب . عاش السوريون

منذ الفتح العثماني حياة اقطاعية — ولا يزال بعضهم كذلك الى اليوم — فكنت ترى الفلاح في البقاع وحوران ومرج ابن عامر وسهول عكار لا يعرف غير سيده . لقد وُلد في بيت



سيده وهو يشتغل ليقدم الغلال الى سيده ، ويعيش هو وامراته واولاده للخدمة في بيت سيده . واذا توفي قام اولاده واحفاده من بعده بهذه المهمة الشاقة التي لاحرية

(شكل ٦٥) شيخ لبناني ، واحد اتباعه يتقدمه

فيها ولا سعادة . وهكذا تعيش هذه الاسرة مئات السنين قانعة بشقاؤها لانعرف ان في العالم كله رجلاً عظيماً غير الرجل الذي تعيش في ارضه وتحتمي بقوته . هذه هي السلطة التي كان يتمتع بها الشيخ في لبنان ، والبك او الباشا في سائر انحاء سورية .



المفروم — المقدمون جماعة نشأوا في شمالي لبنان  
وجبال النصيرية خاصة ، وكانوا الصلة بين الباشا التركي وبين  
الشعب . فهم الذين يجمعون الضرائب ، وهم الذين ينهون اعمال  
الناس في دوائر الحكومة ، ويتوسطون في حل المشاكل بين  
الشعب والحكومة .

والمقدم يعرف شيئاً من القراءة والكتابة والحساب



(شكل ٦٦) امرأة لبنانية  
بزيجات القدم والطرطور على رأسها

يسير به الاعمال ، ويتمتع بسلطة  
واسعة ومقام رفيع ، فهو لا يشتغل  
بالزراعة ولا بالتجارة ولا بالصناعة ،  
بل يعيش من كسب الذين  
ييسط عليهم سلطته ؛ فتراه دائماً هو  
وابناؤه يلبسون الشياب الحريرية  
ويركبون الخيول الجميلة ويذهبون  
الى الصيد في القرى والمزارع .  
واذا اتى احدهم الى البلدة سار  
امامه فارسان وخلفه فارسان وكلهم  
يحملون السلاح ويصفون مناطق

الرصاص على صدورهم

واوساطهم . والويل لمن يخالف المقدم فان نصيبه الضرب  
بالاكف والسياط ، وربما القتل ايضاً .

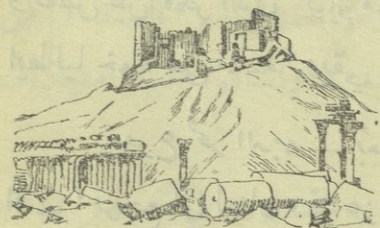
وكان هذا المقدم في اول الامر يُنتخب انتخاباً ، ولكن  
سرعان ما اخذ المقدمون يعينون اولادهم بعدهم وهكذا  
اصبح هذا المنصب الاداري وراثياً استبدادياً .

المُجْرَهْرَه — المجتهدون هم كبار رجال الدين في الشيعة .  
يبدأ المجتهد علومه هنا حيث يكثر قومه بين صور وصيدا  
وشرقها ؛ فاذا تفقه — تعلم الفقه اي العلوم الدينية — ذهب الى  
العراق ليدرس على كبار ائمة الشيعة في النجف ، ثم رجع الى  
بلادهم فيكون رئيساً دينياً ، ويتسلم زمام التعليم في الاغلب ، ويتمتع  
بين قومه بنفوذ عظيم فيما يتعلق بامور دينهم ودنياهم .  
والشيعة يحترمون طبقة اخرى منهم ، هي طبقة السادات  
او الاسياد ؛ والسيد رجل يرتقي نسبه الى علي بن ابي طالب  
كرم الله وجهه . وهؤلاء السادات يعيشون — في العصر الذي  
فتكلم عنه — من الزكاة التي يقدمها الشيعة اليهم .



### ٣٣- عصر الامراء والحكام الوطنيين

اسرة بني مغن — استطاع الامير فخر الدين الاول ان يكون حاكماً في لبنان منذ العام الاول للفتح العثماني ، ثم خلفه ابنه الامير قرقاس ( تحريف لفظة تركية معناها « لا يخاف » ) ؛ ومع ان هذين الاميرين حكما لبنان سبعين سنة او تزيد فان شهرة المعنيين ترجع الى حكم الامير فخر الدين الثاني ابن قرقاس . فخر الدين الثاني « الكبير » — لما بلغ الامير فخر الدين الثاني اشده اخذ ينازع منافسيه ويتغلب عليهم واحداً بعد واحد ، حتى اصبح حاكماً مطلقاً على البلدان المتراصة بين شمال



لبنان وشرق الاردن .  
واتبع فخر الدين سياسة  
رشيدة مع الباب العالي  
( الحكومة العثمانية ) فكان

يدفع الخراج في حينه . ( شكل ٦٧ ) قلعة الامير فخر الدين في تدمر  
وكان العثمانيون مشغولين بجروب في اوروبة فسره ان يقوم

امير كفخر الدين الثاني يحفظ لهم الامن في سورية ، ويرسل  
الخراج في الاوقات المعينة ، ويحارب اعداء الدولة ، والخارجين  
عليها من الزعماء المحليين . ولكن ذلك لم يكن الاستاراً اراد  
فخر الدين ان يسمى من ورائه الى الاستقلال عن الحكومة  
العثمانية .

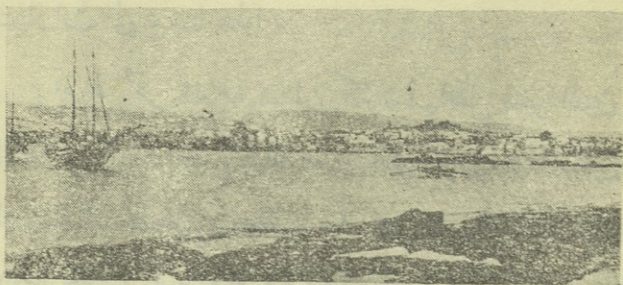
الجيش الجديد — اراد فخر الدين ان يكون للبنان جيش  
وطني دائم فاجد مُرتزقة — جنود بالاجرة — اتخذهم من  
جميع العناصر اللبنانية ، فبلغ عددهم نحو اربعين الفا .

ارتاب السلطان في ميل فخر الدين الى الاوروبيين .  
— الافرنسيين ، والبنادقة والايطاليين خاصة — فاعز الى  
حاكم دمشق الجديد احمد حافظ باشا بان يجبط مسعاه ؛  
وانفض عن فخر الدين كثير من جنده واصدقائه ، فالتجأ الى  
ايطاليا خوفاً على نفسه ، وبقي هنالك بضع سنين .

رموع فخر الدين — بعدئذ رضي السلطان عن فخر  
الدين ، فرجع الى لبنان وقد عزم على ان يوجه كل اهتمامه الى  
ترقية احوال لبنان الداخلية . من اجل ذلك شجع صناعة  
الحرير وزراعة الزيتون ، فازدهرت قرى كثيرة ونشأت ضياع



جديدة . واهتم فخر الدين بالتجارة ايضاً فعمد المعاهدات مع



( شكل ٦٨ ) مرفأ سوري من القرن الماضي

الاوروبيين فزاد دخل لبنان و كثر الرخاء فيه .

الامتيازات الاجنبية — منحت الدولة العثمانية ، في اول  
نزولها في هذه البلاد ، بعض الاوروبيين امتيازات تجارية ؛ فلما  
جاء فخر الدين وسع هذه الامتيازات وتساهل مع الاوروبيين  
الذين ظنوا ان هذه الامتيازات حقوق لهم ، فاستفادوا من  
ضعف الحكومة العثمانية فيما بعد و اضافوا اليها امتيازات  
سياسية و دينية وقضائية .

وهكذا صار الاجانب يعملون في هذه البلاد  
ويتاجرون من غير ان يدفعوا ضرائب كالسوريين . واذا  
اذنب اجنبي لم يستطع القاضي الوطني ان يحاكمه ، بل يحاكمه

قنصل دولته . ولا تزال بلدان الشرق العربي تتألم من هذه الامتيازات الى يومنا هذا .

آخرة فخر الربيع — ان كثرة تساهل فخر الدين الثاني مع الاوروبيين ، وبعض اعماله الحربية في سورية وفلسطين اثارت شكوك الباب العالي مرة ثانية . فهاجمه احمد باشا حاكم دمشق على رأس جيش كبير وهزمه ، فالتجأ الى قلعة الشقيف ( قلعة فيحفا في جزين ) . فحاصره احمد باشا ثم اسره وحمله الى دمشق مقيداً بالسلاسل ، ومن هنالك الى الاستانة حيث قُتل عام ( ١٠٤٥ هـ ١٦٣٥ م ) .

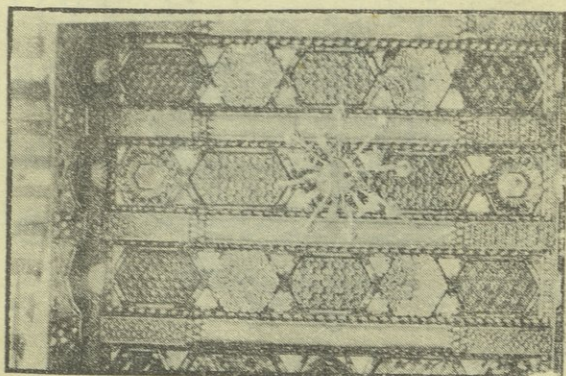
الاسرة الشرايية والاعزاب — لما ذهبت دولة المعنيين استطاع الشهابيون ان يفوزوا بحكم لبنان ، وذلك بمساعدة باشا صيدا ، وباشا طرابلس ، واكثرة افراد اسرتهم . وقد اشتد النزاع الحزبي بين القيسيين الذين يلبسون عمة حمراء ، وبين اعدائهم اليمينيين الذين يلبسون عمة بيضاء . وظهر في هذا النزاع اسر جديدة منهم آل علم الدين وآل ابي اللمع ، وآل تلحوق ، وآل حماده ، واليزبكيون منافسو الجنبلاطين ، وبنو نكد ، وبنو ارسلان ، وآل الخازن . ثم انقسم هؤلاء .



فوقف بعضهم في جانب الشهابيين وانضم بعضهم الى خصومهم  
ووقف بعضهم على الحياد .

ضاهر العمر — كان ضاهر العمر من اسرة عربية  
بدوية نشأت في فلسطين . اراد ان يدافع عن المزارعين  
القرويين لما رأى من سوء حالهم فعضى الدولة العثمانية واستعان  
بالروس على تنفيذ خطته . ثم استطاع ان يستولي على شمال  
فلسطين ويتخذ عكا مقراً له . غير ان الدولة العثمانية تمكنت  
اخيراً من القبض عليه فقتل عام ١١٨٩ هـ ١٧٧٥ م .

آل العظم في دمشق — آل العظم اسرة توطنت سورية

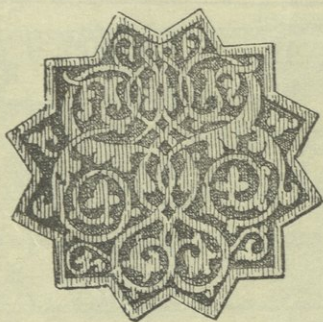


( شكل ٦٩ ) نقوش من سقف قصر آل العظم في حماه

وكان رجالها باشاوات الشام وحكامها ؛ وقد تولوا ايضاً  
حكم عكا وطرابلس وصيدا .

امتازت هذه الاسرة بانها حافظت على ولائها للدولة  
العثمانية ، واردات تنظيم البلاد وترقيتها فكان الأمن في زمنها  
مستتباً والنظام سائداً . وهي الاسرة الوحيدة التي خلفت لنا  
اثراً جمة من الابنية الفخمة كقصر العظم الشهير في حماه  
وفي الشام .

ولا تزال اسرة آل العظم ذات مركز سياسي محترم  
الى اليوم .





### ٣٣ — حملة نابليون على سورية واثرها

احمد باشا الجزائر — كان احمد باشا الجزائر من البوشناق (مقاطعة في البلقان : البوسنة) ، اتى الى هذه البلاد واستطاع ان يصبح بعد حين حاكماً ، تمتد سلطته على الساحل السوري من عكا الى بيروت . وكان يطمع ايضاً بولاية الشام كلها .

ما كادت سلطة احمد باشا الجزائر تتأيد حتى بدأ بتحسين عكا ، « فسخر » ابناء القرى المجاورة في رفع اسوارها وتشييد حصونها . ثم انشأ عمارة حربية ( اسطولا ) ، والف جيشاً من الفرسان البوشناق والارناؤوط ، ومن المشاة .

الامير بشير الشرايى الثانى — وفي عصر احمد باشا الجزائر عاش الامير بشير الشهابي الثانى الذي يعرف ، في تاريخ لبنان ، بالامير بشير المالطي .

حملة نابليون — في منتهى القرن الثامن عشر الميلادى ظهر في فرنسا قائد عظيم يدعى نابليون بونابرت . وكان من

خُطط نابليون ان يقضي على سيادة انكلترا ، وذلك بان يأتي الى مصر فيحتلها ويمنع الانكليز من الاتصال بالهند : اعظم الممتلكات البريطانية على الاطلاق .



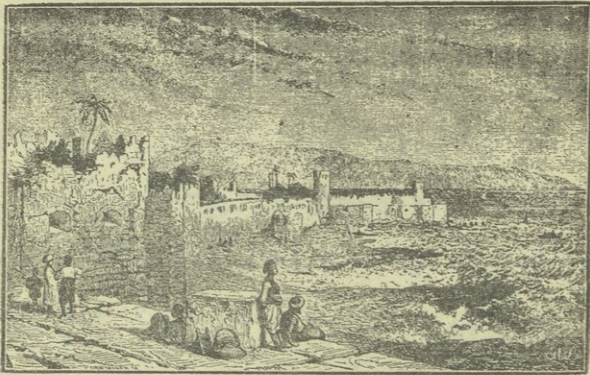
( شكل ٧٠ ) مركب حربي قديم

لم تكن مصر في ذلك الوقت للانكليز ، بل كانت ولاية عثمانية ، يحكمها المماليك باسم السلطان فاستطاع نابليون ان يهزم المماليك في مصر شر هزيمة ، ولكن بعد حين ادرك الاسطول الانكليزي اسطول نابليون في الاسكندرية وابطاه عن آخره .

وفي عام ١٧٩٩ جاء نابليون الى سورية فوصل الى عكا ، وكان احمد باشا الجزائر قد حصنها تحصيناً قوياً ؛ وبدأت القوات العثمانية تتوافد من جميع انحاء البلاد ، ولما دارت المعركة عند عكا ، وقع جيش نابليون بين نار الاسطول



الانكليزي من البحر ونار الجند من القلعة فهزم جيشه ورجع



( شكل ٧١ ) عند اسوار عكا .  
( عن كتاب للدكتور اسدرستم )  
انظر الى زي ايام ابراهيم باشا عام ١٨٣٥

هو الى اوروبة متخفيا .

لم يكن حملة نابليون من اثر اجتماعي في سورية، ولكن مما يجب ان يذكر ان نابليون اصطحب كثيراً من العلماء الافرنسيين الى مصر فبدأوا نهضة علمية ادبية هنالك امتد اثرها فيما بعد الى سورية . فان اول مطبعة عربية ؛ اسمها نابليون في مصر و كذلك اول جريدة عربية ؛ ومثل هذا يقال عن انشاء بعض المؤسسات العلمية من مدارس و جمعيات .

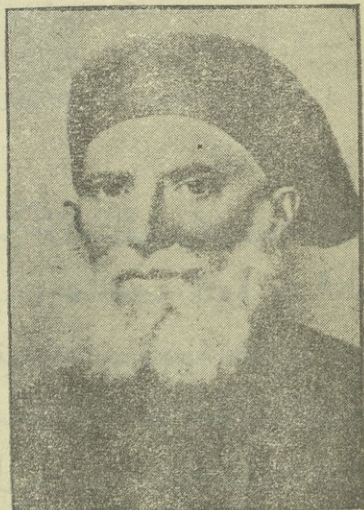
النصف الاول من القرن التاسع عشر ١٨٠٠ - ١٨٦٠

## ٣٤ - دور الفتن والاضطرابات

بدأ القرن التاسع عشر وسورية لا تزال متأثرة بالحملة النابليونية؛ والفتن لا تزال تطل برأسها في كل مكان. وقد ساعد على هذا الاضطراب تنافس الاسر الاقطاعية، التي حدثناك عنها، فاصبحت سورية في هذا العصر فريسة للفتن الداخلية والغارات الخارجية.

ابراهيم باشا في سورية

في الوقت الذي انسحب فيه نابليون من سورية، كانت مصر على ابواب عهد جديد. لقد اتى الى مصر بعد آن جندي الباني (ارناؤوطي) يدعى محمد علي؛ وما زال امره يقوى شيئاً فشيئاً حتى اصبح حاكم مصر كلها.



وجد محمد علي ان السلطان

(شكل ٢٢) ابراهيم باشا



العثماني محمود الثاني ضعيف جداً لكثرة مشاكله في اوروبة ، فطمع بتأسيس امبرطورية شرقية وجهاز حملة تحت امره ابنه ابراهيم باشا وجنحها الى سورية .

نجح ابراهيم باشا حيث خاب نابليون من قبله ، فقد استطاع ان يستولي على عكا ، وبذلك قدر ان يتغلب على الجنود العثمانيين .

العهد المصري واثره — نجح ابراهيم باشا في فتح سورية ولكنه خاب في حكمها . لقد نفر السوريون منه لكثرة الضرائب التي فرضها عليهم ؛ ولاعمال السخرة التي اجبر القرويين على القيام بها تسهيلا لاعماله العسكرية : كفتح الطرق ، ونقل العتاد الحربية « آلات الحرب ووسائلها » وتكوين الجيش بالطعام واللباس وغيرهما .

وزاد نفور السوريين منه لانه بدأ جمع السلاح من حوران . ثم اخذ يفرق بين السوريين كي يبقى سائداً عليهم ؛ وكان عداؤه للدولة العثمانية يزيد في استياء القسم الاعظم من السكان .

ثورة بني معروف — ولما اشتدت وطأة ابراهيم باشا  
في حوران قام « بنو معروف » يدفعون عن انفسهم العدوان



( شكل ٧٣ )

محارب من بني معروف الذين  
ثاروا على ابراهيم باشا

ثم ثاروا وأبلوا في ثورتهم البلاء الحسن . ومع انه لم يكن لاحد  
الفريقين انتصار على الآخر فان ابراهيم باشا قنط من التغلب  
على بني معروف وتركهم احراراً في جبالهم المنيعه .



ثم ثار النابلسيون على ابراهيم باشا وكادوا يفسدون عليه خطته ، فكتب الى ابيه محمد علي باشا فجاء بنفسه لمساعدة ابنه .

نتيجة الحملة المصرية — واخيراً اجبرت الدول الاوروبية ابراهيم باشا على ترك سورية ، فعاد الى مصر ولم يخاف في هذه الديار الا الذكرى المؤلمة ، لانه نشر فيها سيئات المدينة الغربية كإباحة القمار مثلاً .

ولما آب الى مصر حمل معه بعض المزارعين ليزرعوا له القطن الذي اشتهرت به عكا ، ويزرعوا له الارز والتوت ، وحمل معه الصناعات ليُدخل صناعات سورية الى وادي النيل .

فتنة عام ١٨٦٠

كان هنالك اسباب عديدة ساعدت على هذه الفتنة المشؤومة : منها ان ابراهيم باشا بذر الشقاق بين السوريين ، وان الدول الاوروبية كانت ذات مطامع في سورية ، فكانت تساعد دائماً على اضطراب الاحوال ليكون لها حجة في التدخل في شؤونها ، ولأن الأُسَر الاقطاعية اشتطت في جباية

الضرائب ، وتحصيل الاموال من الشعب وزادت منازعاتها  
فحدث فتن كثيرة ، كان اشأمها حادثة عام ١٨٦٠ م  
في شهر آب سنة ١٨٥٩ م اختلف شابان درزيان مع  
شاين مسيحين ؛ فتساجروا ووصل الخبر الى اهلهم وقراهم .  
فاتخذ جُبال الفريقين من هذا السبب التافه حجة للقيام بمذابح  
عمت لبنان واتصلت بسورية . اما العقلاء من المسلمين  
والنصارى فقد سعوا لصيانة الدماء وحفظ الامن ، واشهر هؤلاء



( شكل ٧٤ ) سراي بيروت وهو نموذج لطراز البناء التركي



الامير عبد القادر الجزائري الذي حمى مسيحيي الشام في بيته  
وفي القلعة — بعد ان طلب اذنا من حاكم دمشق — وصنع  
سليم آغا في حي الميدان بالشام مثل صنع الامير عبد القادر .



بناؤه بعد الفتنه — طلبت  
الدول الاوروبية كانكلترة  
وفرنسة وروسية من السلطان  
ان يمنح لبنان استقلالا، واشترطت  
ان يكون حاكمه مسيحياً اجنبياً ؛  
فكان من حكامه اثنان ارمنيان ،  
وواحد بولوني وآخر الباني .  
وبقي هذا الحكم الى نشوب  
الحرب الكبرى .

(شكل ٧٥) جندي لبناني بعد ١٨٦٠

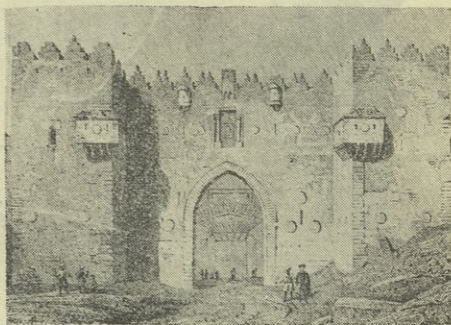
التنظيم الاداري في سورية كلها — وبعد قليل من الزمن  
ابدل السلطان حكم البشوات — الخائب — بحكم الولاية  
الاداريين ، يساعدهم في ذلك مجالس ادارية يشترك فيها بعض  
الوطنيين ، وهكذا اصبح في سورية قبل نهاية القرن التاسع  
عشر حكم اداري منظم ، فساد الامن نوعاً واستتب السلام .

النصف الثاني من القرن التاسع عشر

### ٣٥ - النهضة العلمية العمرانية

كانت المدن القديمة كلها مسورة ، وقد ظلت كذلك الى اواسط القرن الماضي . وكان للمدينة ابواب تفتح في الصباح وتغلق عند المغرب ( عند غروب الشمس ) ، فاذا وصل مسافر متأخراً اضطر الى ان يبني خارج السور معرضاً للاحوش وللصوص .

قضت الاسوار على المدن ان لا تريد مساحتها ابداً ، لان البيوت كانت تبني دائماً داخل السور

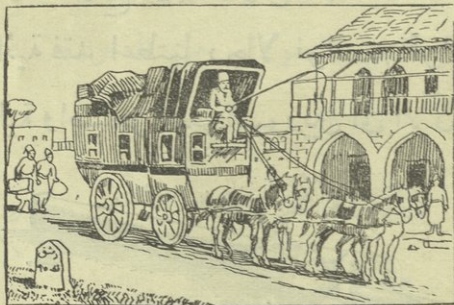


( شكل ٧٦ ) باب في سور دمشق ، من القرن الماضي . ولذلك ترى البيوت القديمة قريبة من بعضها جداً وترى الطرقات فيها ضيقة جداً . ثم اخترع المدفع فلم يبق للسور اهمية ، وجعل الناس يبنون



خارج الاسوار التي تهدم اكثرها . فصرنا اليوم نرى القدس  
مثلا قد اصبحت مدينتين : المدينة القديمة داخل السور ،  
والمدينة الجديدة خارج السور .

ازدهار الثروة — زادت التجارة بين سورية واوروبه  
زيادة عظيمة ، فان سورية كانت تصدر الحرير والزيتون  
وكثيراً من المصنوعات الشرقية كالصابون الي البلدان  
الاوروبية . ثم ان مر كز بيروت على شاطئ البحر المتوسط  
جعلها ثغراً لجميع البلدان الواقعة الى جانبها او الواقعة ورائها

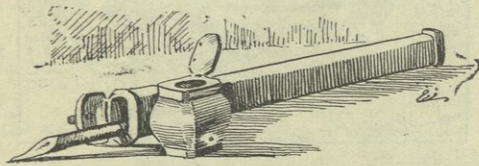


( شكل ٧٧ ) مركبة للسفر من القرن الماضي

حتى العراق والحجاز . فعمل ذلك على ازدياد ثروة السكان  
فاخذوا يشترون الاراضي في الجبل وعلى الساحل ، وينشثون  
البيوت على طراز جميل . وكثرت الاسواق التجارية ،

والشركات والمصارف ( البنوك ) وكثرت طرق المواصلات ؛  
وهكذا زاد العمران .

النهضة العلمية — لما زادت ثروة البلاد مال كثير من  
الى العلم ، واتفق ان الارساليات الدينية الاجنبية كانت قد آتت  
سورية ولبنان منذ اوائل العصر الماضي ، وانشأت المدارس  
المختلفة في بيروت وصيدا وحيفا والقدس ، فكثر اقبال الاهالي  
على العلم . وقد قام كثير من المدارس الاهلية في اكثر المدن  
والقرى ، اما المدارس الرسمية ( للحكومة ) فخدمت البلاد  
خدمات محدودة . ومع ان المدارس الاهلية القديمة كانت  
صغيرة ابتدائية فقد اعطتنا رجالا نوابغ اتقوا دروسهم في  
المدارس العالية واصبحوا فخر السوريين الى الآن والى الابد .



( شكل ٧٨ ) دواة نحاسية يحملها الانسان في وسطه ، من القرن الماضي

الهجرة — السوري نشيط بالطبع يجب العمل  
والحرارة وتحصيل الرزق . فلما ضاقت سورية على جهود اهله



أخذ بعضهم يهاجر الى البلاد الاجنبية لكسب المال . اما اشهر  
المهاجر فامير كة بقارتها الشمالية والجنوبية . وقد كان السوري  
يذهب — من اقاصي غزة او من اطراف حلب او من لبنان —  
الى امير كة فيشتغل ويكد ويجمع ثروة عظيمة ، ثم يعود بها  
الى مسقط رأسه ليبنى بيوتاً على الطراز الحديث او يفتح  
متجراً واسعاً ؛ ولكن كثيراً من المهاجرين لا يزالون في  
امير كة حتى اليوم .

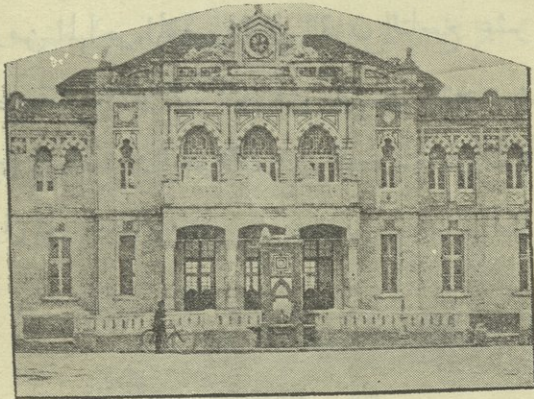
ومن المهاجر المقصودة في القرن التاسع عشر افريقية  
ومصر خاصة ، ولا يزال كثير من كبار التجار والكتاب  
والموظفين في مصر والسودان من السوريين . وهاجر قسم  
آخر قليل الى استراليا .



سورية في القرن العشرين

### ٣٦ - اليقظة العربية - الحرب الكبرى

الحرب العثمانية - لما بدأ القرن الحادي كان العمران قد انتشر والمال قد زاد في البلاد، والعلم قد ساد فيها. فاخذ الناس يفكرون بالحرية السياسية، ويسعون الى ان يعيشوا عيشة



(ش ٧٩) محطة سكة الحديد الحجازية بدمشق وهي مزيج من الطرازين التركي والعربي مستقلة كما تعيش الدول الاوروبية. ادركت ترقية هذا الميل وخافت ان تنشب الفتن - وهي ضعيفة لاتستطيع مقاومة السكان - فمنحت رعاياها الحرية عام ١٩٠٨م؛ وانشأت مجلساً



نيابياً في استانبول يضم مندوبين من جميع بلاد الامبرطورية  
العثمانية .

البقطة العربية - وكانت تركية تحاول الى جنب ذلك  
ان (تُتْرِك) السكان - اي ان تجعلهم اتراكا في اللغة والعادات  
والحياة - فلم يرض العرب عن ذلك ؛ وقام منهم جماعة الفوا  
جمعيات سرية لمقاومة هذه الحركة .

سورية والحرب الكبرى - في اثناء ذلك نشبت



( شكل ٨٠ )

الجامع الكبير في غزة بعد

تدميره سنة ١٩١٨

الحرب الكبرى في اوروبة ثم عمت العالم واشترك فيها مايقارب  
الثلاثين دولة .

مشهدا العرب - لما دخلت تركية الحرب الى جانب

المانية ، أصبحت بلادنا في معزل عن العالم الخارجي فاستطاع  
الانراك ان يطاردوا الشبان الذين كانوا يسمعون لمنح البلاد  
العربية استقلالها ، واطلعت على اسرارهم فاتهمهم بانهم  
يريدون فصل البلاد العربية عن جسم الامبرطورية العثمانية .  
من اجل ذلك حاكمتهم في المحكمة العرفية العسكرية في عاليه  
(لبنان) وشنقتهم عام ١٩١٦ . ولا يزال العرب حتى اليوم  
يحتفلون بذكرى الشهداء في السادس من شهر ايار .

الثورة العربية - وفي سنة ١٩١٦ اعلن الحسين بن علي



شريف مكة الثورة على الانراك وارسل  
ابنه فيصلأ على رأس جيش فدخل سورية  
بعد عدة معارك على الحدود .



( شكل ٨١ ) السلطان حسين بن علي

سورية بعد الحرب الكبرى - كانت سنوات الحرب



الكبرى (١٩١٤ - ١٩١٨) عصر انتقال . لذلك تعيش انت . اليوم في عصر غير الذي كان يعيش فيه ابوك وجدك ، مع ان المدة التي انقضت على اعلان الحرب لم تتجاوز بعدد عشرين عاماً . ويظهر ذلك من مقابلتك العمران الذي تراه في بلدك بحالة المدن التي درست احوالها في الفصول السابقة .

ان الذين عاشوا قبل الحرب الكبرى لم يروا السيارات كما تراها انت الآن ، ولم يستمعوا الى (الراديو) قط ، ولم يشاهدوا طيارة الا نادراً ، ولم يكن لهم هذه الشوارع العريضة والمتنزعات الظليلة التي تتمتع انت بها الآن .

ولا تنس ارتفاع الاسعار ، وقحط الاراضي والجوع التي اصابت سورية في هذه الحرب المشؤومة كما اصابت غيرها من البلاد .

فورد الحركة العمرانية والاقتصادية - انصرف الناس في اثناء الحرب الكبرى الى الاحتيال على كسب معاشهم فان ارتفاع الاسعار وقلة الغلال وانقطاع ورود المصنوعات المختلفة من الخارج جعلت سورية - كما جعلت غيرها من البلاد ايضاً - في حالة حصار ، فكان اهتمام الناس الاول بالحصول

على القوت ودفع الامراض . ومع ان السوريين قد بذلوا جهوداً عظيمة للتغلب على ويلات الحرب فقد هلك منهم عدد كبير وخربت ضياع كثيرة ؛ ولا يزال السائر في بعض قرى لبنان يرى بيوتاً متهمة كانت قبل الحرب العامة مسكونة عامرة .

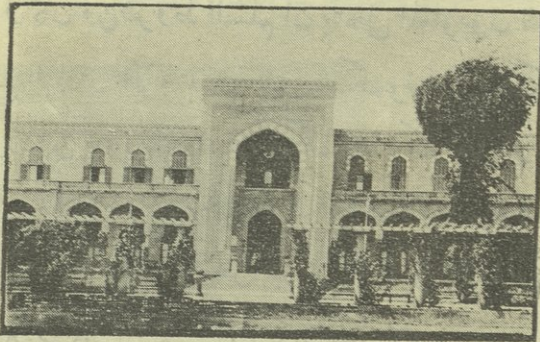


( شكل ٨٣ ) مشهد لتوزيع الخبز في الحرب الكبرى

وهكذا كان من النادر ان ترى في الحرب الكبرى  
البنية جديدة او متاجر عظيمة ، او حركة علمية قوية . لقد



كان هم الناس ان يجتازوا زمن الحرب ويؤمنوا حاجياتهم  
الضرورية ، ثم اذا انتهت الحرب يفكرون في المشاريع  
العظيمة والحركات العلمية واسباب الترف ، حتى ان كثيراً  
من الناس قنطوا من رؤية السلم مرة ثانية في هذا العالم .  
ولكن لا تظن ان هذه الحال سادت في بلادنا فقط . ان بلادنا  
كانت خيراً من غيرها بكثير .



(شكل ٨٣) قصر الصنوبر في بيروت بني في اثناء الحرب (الكبرى)

## ٣٧ - سورية تحت الانتداب

الاحتلال الانكليزي - الافرنسي - انتهت الحرب الكبرى بانتصار انكلترة وفرنسة واميركة وحلفائها، وباندحار المانية وتركية والنمسة واحلافها بعد ان طلبت المانية الهدنة للبحث في شروط السلام يوم ١١ تشرين الثاني ١٩١٨ .

وكان من شروط السلم ان يتخلى المغلوبون للمنتصرين عن جميع البلدان الاجنبية التي يحكمونها ، وهكذا خرج العثمانيون من سورية بعد ان حكموها اكثر من اربعة قرون (١٥١٦ - ١٩١٨ م) ودخلها الانكليز والافرنسيون لتقدمهم القوات العربية والمصرية عن طريق دمشق والقدس .

بعدئذ اقتسم الانكليز والافرنسيون سورية واستبدلوا الحكم العسكري بانتداب . والانتداب حكم مؤقت ينتهي متى اصبح اهل البلاد قادرين على حكم انفسهم بانفسهم .

منظمة القوذة الانكليزي - حينما اقتسم الانكليز



والفرنسيون النفوذ في سورية استولى الاولون على القسم الجنوبي منها — فلسطين وشرق الاردن — ولا تزال فلسطين حتى اليوم خاضعة لنفوذ المفوض السامي البريطاني مباشرة .  
غير ان الانكليز يفكرون في انشاء حكومة وطنية نيابية منذ زمن بعيد، ولكنهم لم ينفذوا ذلك حتى اليوم؛ ولعل اعقد ما في هذه القضية المسألة الصهيونية التي سنحدثك عنها بعد اسطر .

امارة شرق الاردن — انشاء الانكليز في عبر الاردن



( شكل ٨٤ ) سمو  
الامير عبد الله بن الحسين ،  
امير شرق الاردن .

امارة عربية يحكمها الامير عبد الله بن الملك حسين الهاشمي؛  
وتضم هذه الامارة البلدان الواقعة شرق الاردن والبحر  
المتيت. وفي شرق الاردن كثير من القبائل البدوية.

القضية الصهيونية - مازال اليهود منذ تشتتوا في  
انحاء الارض يفكرون في جمع شملهم وتأليف حكومة  
تضمهم في صعيد واحد، وقد ارادوا ان يكون هذا الصعيد  
الواحد فلسطين، غير انهم لم يُوفِّقوا لاعلان فكرتهم  
الا حديثاً.

بدأ اليهود منذ القرن الماضي بالهجرة الى فلسطين،  
وانشأوا فيها جمعية استعمارية تشتري الاراضي ثم تباعها من  
اليهود بيعاً لفظياً. اي انها تقدم لهم الاراضي بثمان ضئيل جداً  
ثم تستوفي الثمن في خمسين او ستين سنة. وعلى هذا كان لليهود  
في اثناء الحرب مائة الف دونم من الاراضي في منطقة حيفا  
وحدها يقيم فيها نحو الف يهودي مستوطنين ومهاجرين،  
وقد كانوا يؤلفون في ذلك الوقت نحو عشرة بالمائة من السكان  
لان منطقة حيفا كان فيها نحو عشرة آلاف شخص فقط.

وبعد الحرب الكبرى سمح الانكليز لليهود بالانشاء

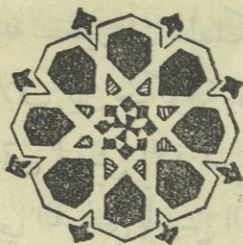


وطن قومي في فلسطين ، ولكن الوطنيين العرب : مسلمين  
ومسيحيين يقاومون هذه الفكرة مقاومة فعالية ، وقد  
ألفوا الجمعيات الوطنية لمقاومتها .

منطقة الفوز الافرنسي — وضعت سورية الشمالية تحت  
الانتداب الافرنسي بعد ان تركت منطقة دمشق وحماة  
خاضعة لحكومة وطنية يرأسها الامير فيصل بن الحسين  
الهاشمي ؛ وفي ٨ آذار سنة ١٩٢٠ اعلن استقلال سورية وُجِّل  
الامير فيصل ملكا عليها .

موقعة مبلوه — غير ان المملكة السورية لم تعيش  
طويلا ، فقد قام خلاف بين حكومة باريس وبين حكومة  
دمشق انتهى بان التقى الجيش الافرنسي تحت امرة الجنرال  
غورو المفوض السامي الفرنسي بالجيش السوري بقيادة يوسف  
بك العظمة في ميسلون غربي دمشق ( ٢٠ تموز سنة ١٩٢٠ ) ؛  
فانتصر الافرنسيون وقضوا على المملكة الفتية في دمشق .  
وفي هذه المعركة استشهد يوسف العظمة ، ولا يزال قبره يُرى  
في ميسلون على طريق السيارات بين بيروت ودمشق .

العلم والعمران بعد الحرب — اندفع السوريون بعد الحرب الكبرى نحو العلم اندفاعاً غريباً ، فازداد عدد المتعلمين تعليماً عالياً ، وكثرت المدارس الأهلية كثرة تدعو إلى الإعجاب . وقد استطاع بعضها أن يضاهي المعاهد الأجنبية ويتفوق عليها . أما العمران فقد كثر في المدن الكبرى وفي قرى الاصطياف وفي الأسواق التجارية ، وأكثرها مبني على طراز حديث خليط من الفن الوطني والفن الغربي <sup>(١)</sup> .



---

(١) نرى أن نفث بالتلميذ عند عام ١٩٢٠ لان ما بعد ذلك غير مستقر ، فضلا عن ان التلميذ يرى اثار هذه الحاضر عياناً .



اوقات درس التاريخ ومواعيده

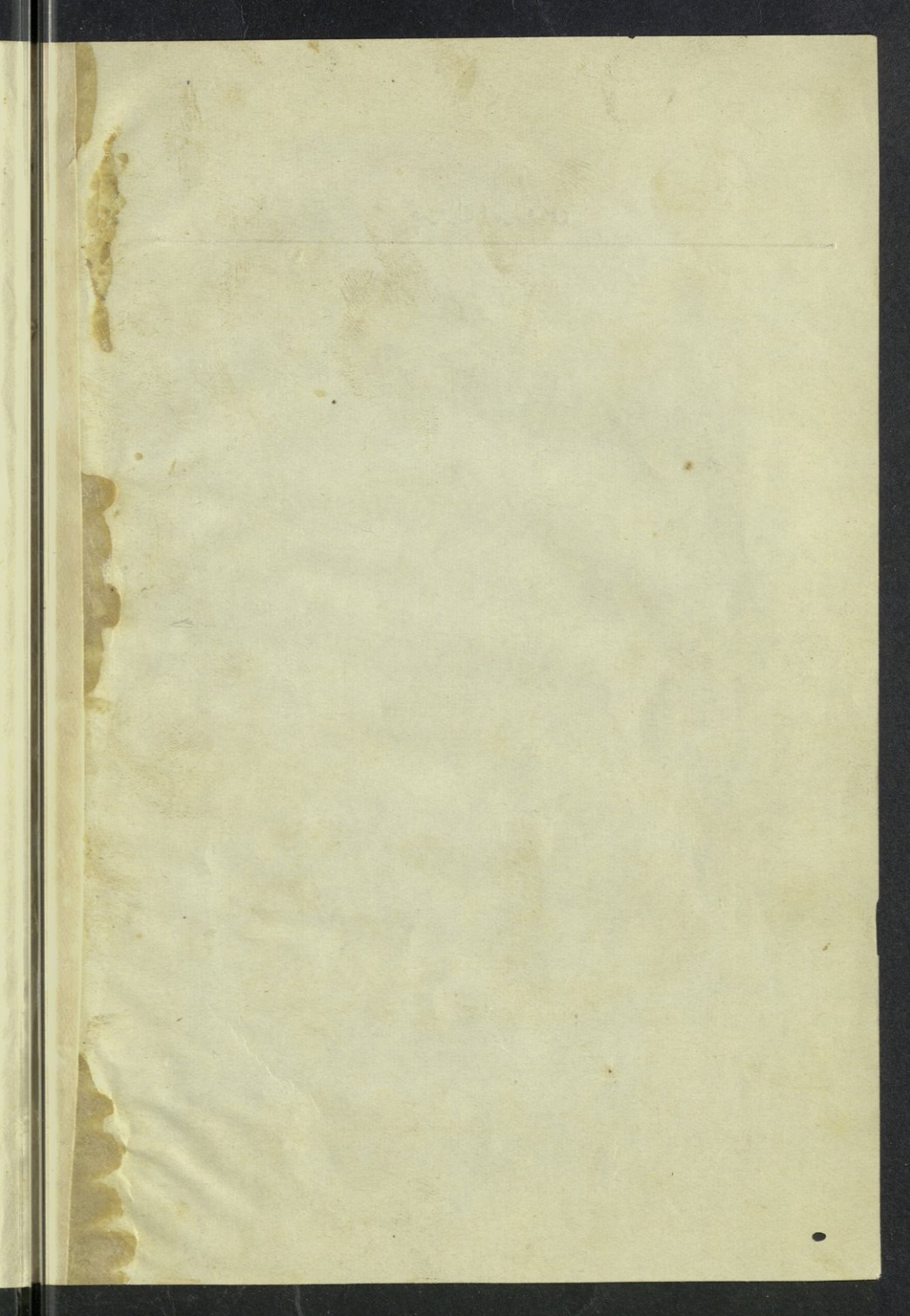
---



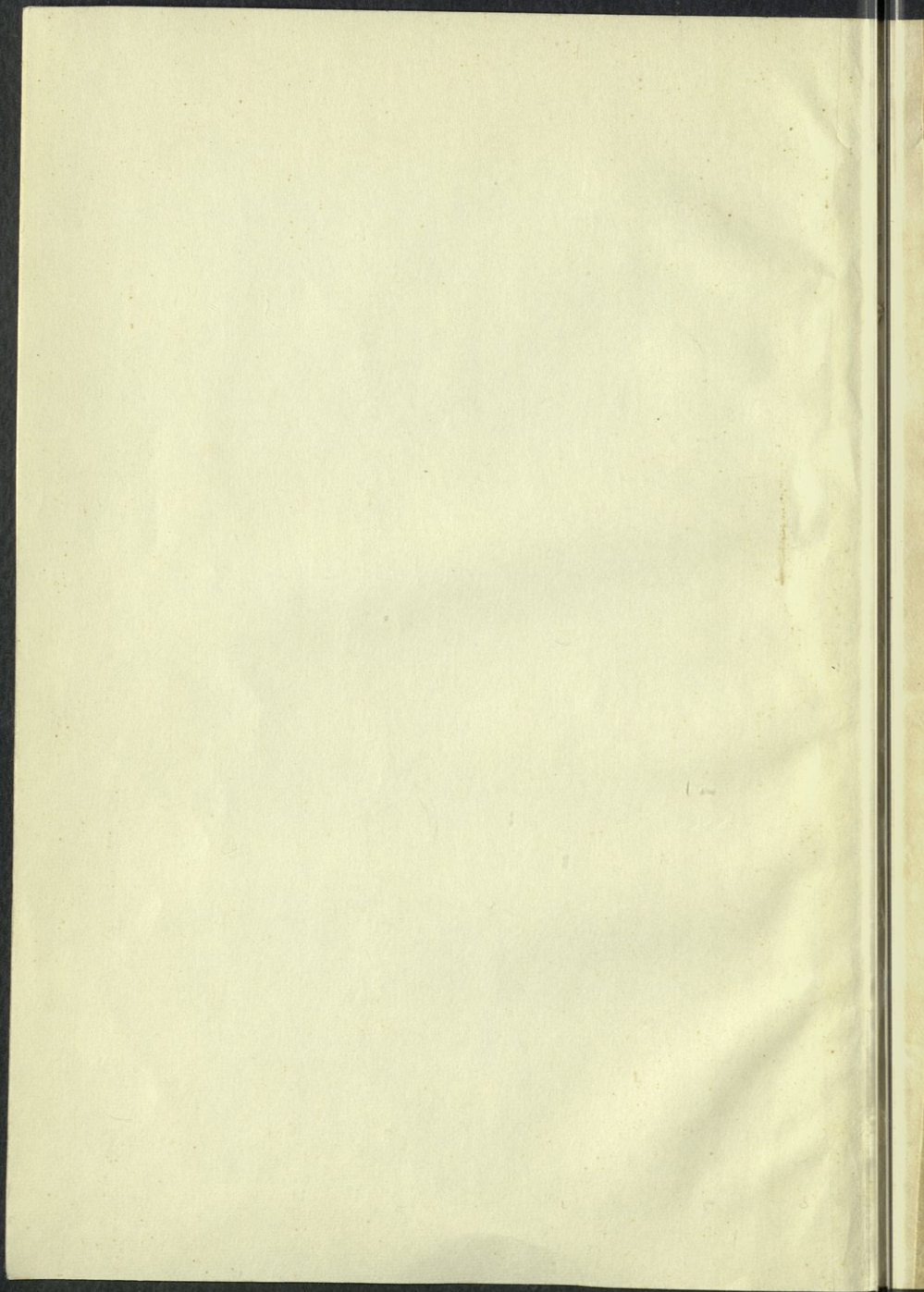


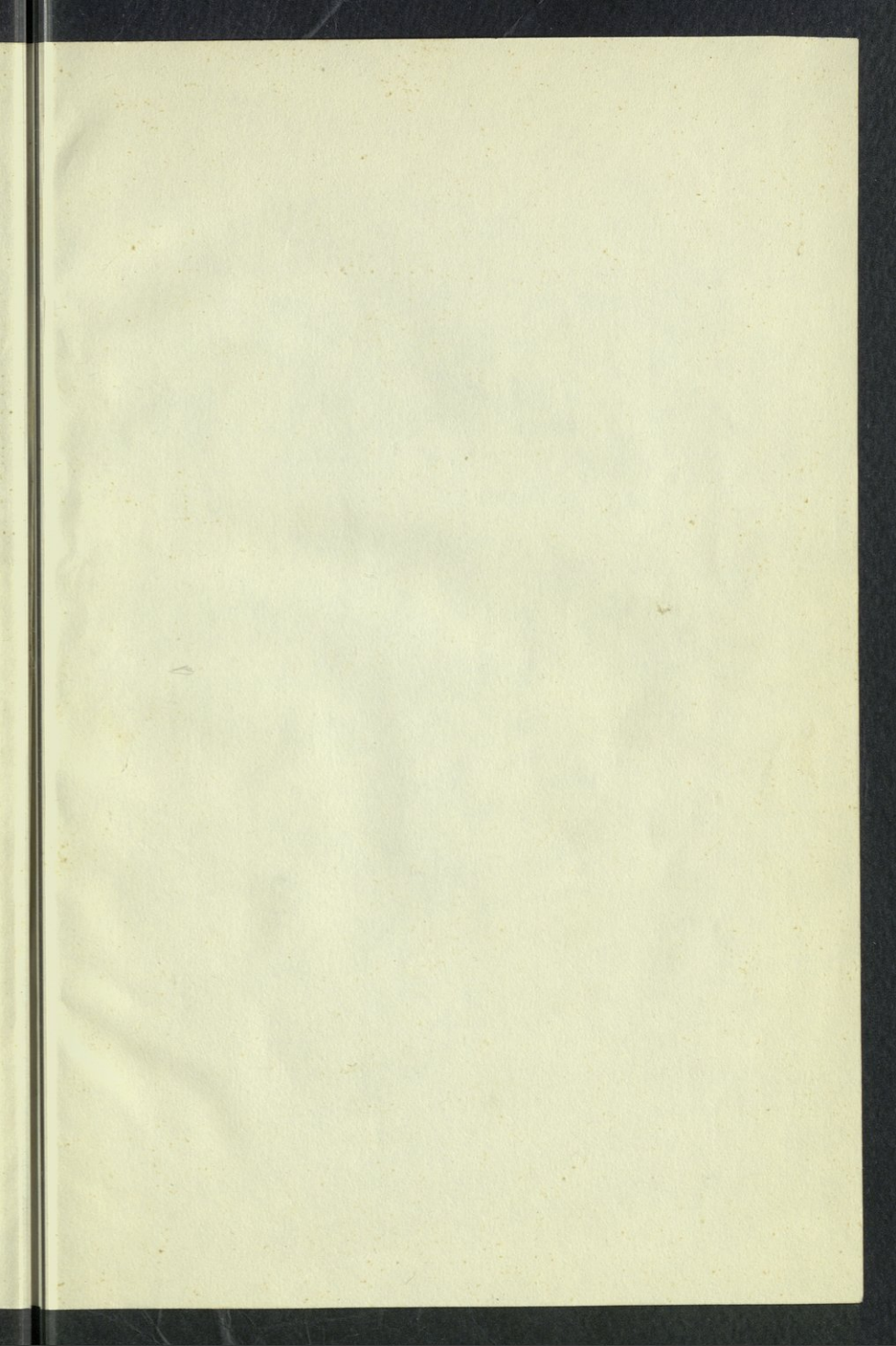
جدول الدروس

---

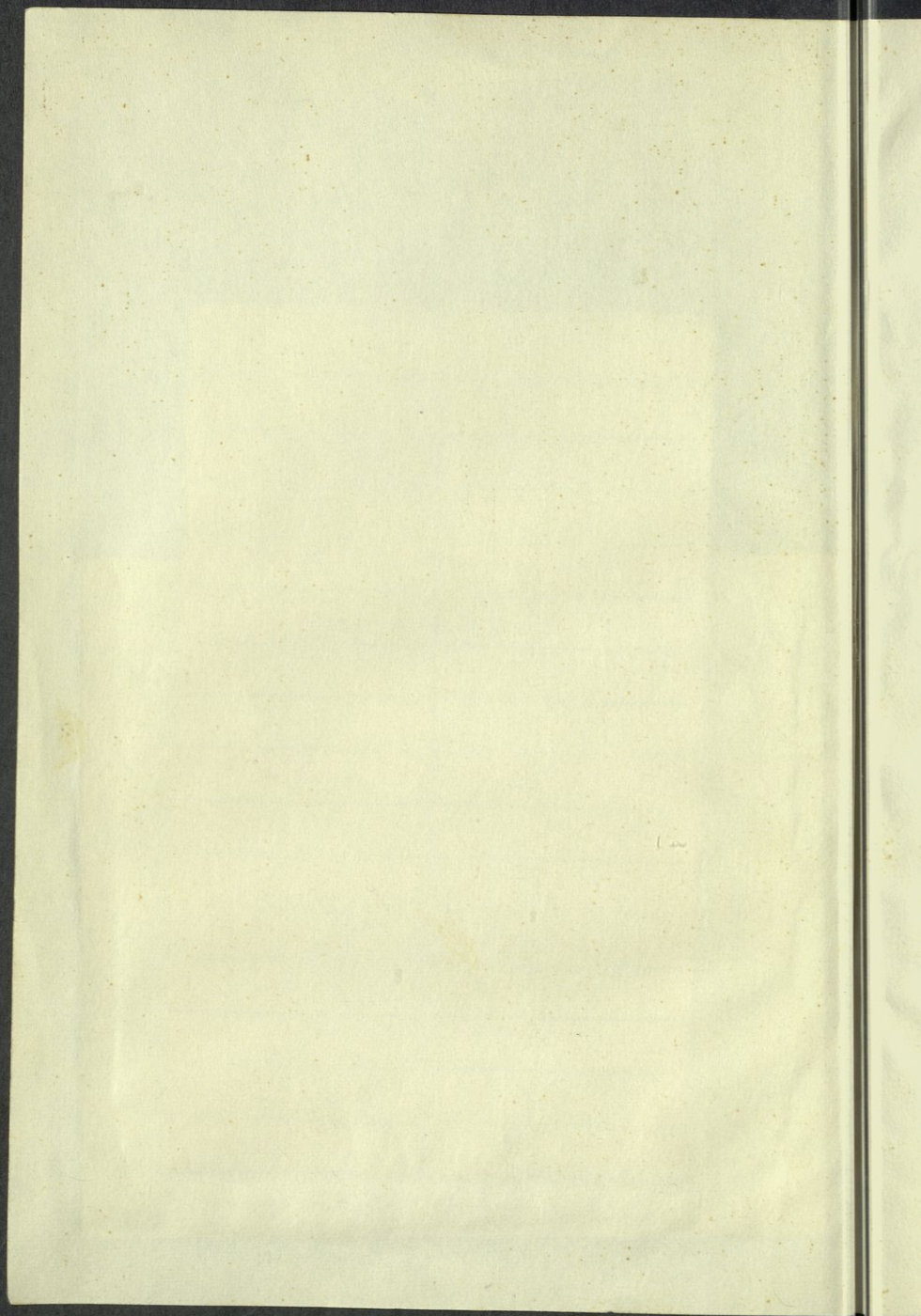












CA:

956.9:N16tA

V.2

النقّاش ، زكي .

تاريخ سورية ولبنان المصور .

956.9

N16tA

V.2

~~12 Oct 72~~

J. LIB.

~~JAN 1982~~

J. LIB.

~~1 JAN 1982~~

~~J. Lib.  
10 JUL 1983~~

~~JAFET LIB.  
11 NOV 1990~~



A. U. B. LIBRARY

CA:956.9:N16tA:v.2:c.1

فروخ، عمر

تاريخ سورية ولبنان المصور  
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01007126

9  
SLA  
2